وزارة التعليـــــم العالـي والبحـث العلـمي
جـامعة الدكتـور يحي فـارس بالمديـة
كلية العلـوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

القضايا المغاربية
من خلال كتابات أحمد توفيق المدني
1911-1983م

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعـــداد:
حميدة بن قوية
سكينة بوشارب

إشـــراف:
أ.معمر شعشوع

السنة الجامعية: 1436-1437هـ /2015-2016م

كلمة شكر وتقدير

بعد الشكر الجزيل لله سبحانه وتعالى لعونه وتوفيقه لي بإنجاز هذا العمل المتواضع نوجه ثلاث بطاقات شكر تحمل في طياتها جزيل الشكر والامتنان: أول هذه البطاقات الشكر الجزيل والعرفان لأستاذنا المحترم معمر شعشوع لسعة صدره وقبوله الإشراف على هذه المذكرة وتوجيهاته التي مكنتنا من انجاز هذا البحث.

ثاني هذه البطاقات الشكر الجزيل لجميع أساتذتنا عرفانا للأولين وتقديرا للآخرين خاصة منهم الأستاذ المحترم الغالي الغربي لما قدمه لنا من مساعدة طوال مشوارنا الدراسي.

ثالث هذه البطاقات الشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا في هذا البحث سواءا من بعيد أو قريب

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لأخيه جزاك الله خيرا فقد كفاه»

فجزاكم الله عنا خير الجزاء.

إهداء

أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى أمي وأبي أسمى معاني الحب والاحترام والتقدير

إلى أخي الوحيد محمد أطال الله في عمره

إلى كل أخواتي بالأخص خديجة ورانية و إلى زوجة أخي وعصفورتي البيت بنات أخي مرام وسيرين

إلى الذي أحبني يوما وأحببته دوما

إلى روحي أخي عبد القادر رحمة الله عليه

إلى جدتي العزيزة و عائلة عمي المداني

إلى كل صديقاتي العزيزات خاصة نورة، إلهام، أحلام، زهور، هناء، هاجر، سعاد، شريفة ، آسيا ، سامية

وصديقتي في العمل سكينة و أميرة

و إلى كل من ساندني في عملي هذا سواءا من بعيد أو قريب



إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

العائلة الكريمة الكل بإسمه خصوصا الوالدين الكريمين أمدهما الله بالصحة والعافية

إلى بلال الذي عهدته أخا واكتشفته أعز صديق

إلى عبدو حاج كولة

إلى الصغيرين عبدو وأيوب

إلى من كانت سندي في هذا العمل حميدة

إلى الأصدقاء ولقسم التاريخ وكل طلبة التاريخ خصوصا سامية ، سهام ، هاجر ، أميرة، نبيلة

و إلى كل من وقف معي في دراستي أقدم له ثمرة نجاحي

سكينة

قائمة المختصرات

الجزء الأول	ج1
المجلد الأول	م 1
طبعة خاصة	ط خ
التاريخ الحديث والعاصر	ت ح م
ترجمة	تر
المؤسسة الوطنية للكتاب	م وط ل
منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954	م م ود ب ح وث
منشورات المتحف الوطني للمجاهد	م م وم
الشركة التونسية لفنون الرسم	ش ت ف ر
دون طبعة	د ط
دون تاريخ	د ت
ديوان المطبوعات الجامعية	د م ج
مجلة	م
جريدة	ج
العدد	ع
مجلد	م

قائمة المختصرات بالفرنسية:

P	Page
V	Volume
N	Numéro
R	Relevét

مقدمة

مقدمة

ارتبط تاريخ لجزائر المعاصر بجهود أقطاب بارزين خلفوا آثار في مسار الحركة الوطنية بتعدد اتجاهاتها الثقافية والسياسية، فكان لهم الدور الفعال في وضع اللبنة الأولى في تاريخ النضال السياسي الذي ظهر منذ النصف الأول من القرن العشرين، وكذلك بعث نهضتها الفكرية والثقافية والتصدي للمشروع الفرنسي الذي أراد إلغاء كيان هذه الأمة، فسجلوا بذلك أروع المشاهد وخلدوا انصع الصفحات، وبينت تلك الحركة التي استطاعت أن تسمع صوت الجزائر والأقطار المغاربية على العموم، في الوقت نفسه نشطت الحركة الاستعمارية، والفضل لهؤلاء الكتاب الذين حملوا مسؤولية هذا القطر وتحريره من الاستعمار الغاشم وإزاحة الستار عن جوانبه المظلمة وإنصاف كل قطر من هذه الأقطار.

وأبرز مثال على ذلك أحمد توفيق الذي تميز بتجربته وحضوره الرائد ليس في الجزائر فقط بل في كل البلاد المغاربية وما تركه من أعمال عظيمة حيث حمل بصدق همومها على مدار سبعين سنة من العطاء، فأعماله كانت صورة حية لرجل عاش للجزائر وللأمة المغاربية والعربية بالرغم من أن هذه الشخصية طالها التهميش والإقصاء مقارنة بحضوره المتميز.

وعلى هذا الأساس قمنا باختيار شخصية أحمد توفيق المدني كموضوع لدراسة تحت عنوان القضايا المغاربية من خلال كتابات أحمد توفيق المدني، وهذا كمحاولة منا لربط تاريخ المغرب العربي وقضاياه في الفترة المعاصرة من خلال ما طرحه المدني.

أسباب اختيار الموضوع:

أسباب ذاتية:

الرغبة البحث في الشخصيات الوطنية التي تمثل معلما ورمزا من رموز المدرسة التاريخية الجزائرية وكمحاولة منا أردنا تقديم مساهمة متواضعة يتم الحديث عن القضايا المغاربية من خلال هذه الشخصية الفذة التي تعتبر مصدرا مهما لدراسة تاريخ المغرب العربي ككل.

التشجيع الذي لقيناه من طرف أساتذتنا الكرام خاصة الأستاذ المشرف معمر شعشوع وكذلك الأستاذ الغالي الغربي.

الأسباب الموضوعية:

معرفة الأساليب والوسائل التي كان يتبعها في كتاباته والتي من خلالها أردنا أن نربط منهاج هذه الشخصية بالواقع المغاربي في الفترة الاستعمارية.

الرغبة في البحث عن دور أحمد توفيق المدني في الحركة الوطنية خصوصا مع بروز الوثائق التي تثبت ذلك.

الإطلاع على حقيقة الانتقادات الموجهة لأحمد توفيق المدني من طرف معاصريه.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في كونه يتناول شخصية وطنية مهمة ألا وهي أحمد توفيق المدني، بل الأكثر من ذلك أنه عند دراسة الموضوع من كل جوانبه فإننا سنبرز المدرسة التاريخية الجزائرية والدور الذي لعبه المدني فيها، ومن جهة أخرى نبحث في أرضية الكتابات التاريخية التي تكلمت عن منطقة المغرب العربي والأواصر المشتركة بين أقطاره.

إشكالية البحث:

قمنا بتناول الموضوع بالدراسة والتحليل واستنتاج القضايا المغاربية التي تطرق لها المدني في كتاباته التاريخية، حيث تتعلق بوجه الخصوص بنضال المغاربة، فتشبع المدني بأفكار مشرقية وتطلعه على المؤثرات الغربية إضافة إلى ثقافته المزدوجة وأسلوبه العالي في الطرح التاريخي، وقدرته على مجابهة المستعمر والتعامل مع سياسته، ولهذا فالإشكالية التي تطرح نفسها:

- فيما يكمن دور أحمد توفيق المدني في تبيين قضايا المغرب العربي ؟

- إلى أي مدى توافقت هذه القضايا مع الواقع المعاش في تلك الفترة؟

- ما هي أثارها على المجتمع المغاربي؟

- إلى أي مدى بينت هذه القضايا الواقع النهضوي في البلاد المغاربية؟ وما هو موقف الإدارة الفرنسية منها؟

الدراسات السابقة:

من خلال بحثنا في المراجع المتعلقة بالموضوع وجدنا مجموعة من الدراسات السابقة التي تطرقت لشخصية أحمد توفيق المدني لكن من زاوية البحث في شخصيته وتأثيره في الحياة الثقافية في تونس والجزائر على حد سواء باعتباره أحد أهم أقطاب الطبقة النخبوية المغاربية، ومن هذه الدراسات نجد:

دراسة عبد القادر خليفي: التي جاءت بعنوان أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر حيث استعرض من خلالها شخصية المدني كرجل سياسي ومفكر ودوره في الربط بين القطرين – تونس والجزائر – ثقافيا.

دراسة بوطيبي محمد: التي عنونها بدور المثقفين في الحركة الوطنية التونسية 1900- 1930 حيث تناول الباحث دور الطلبة الجزائريين في تونس وحواضرها الثقافية أهمها جامع الزيتونة فعرج الحديث المدني في هذه الإطار.

دون أن ننسى دراسة أخرى لميسوم بلقاسم التي جاءت بعنوان الكتابات التاريخية في الفترة الاستعماريةالاستعمارية1830-1962 دراسة تحليلية، فبين من خلالها دور المدني في تأريخ وكتابة تاريخ الجزائر تختلف مجرياته.

مناهج البحث:

لتناول الموضوع على أكمل وجه والإجابة على مختلف التساؤلات والإشكالية المطروحة اتبعنا المناهج التالية:

المنهج الوصفي: حيث طبقناه أثناء رصد الأحداث ورتبناها كرونولوجيا، وكذالك وصف مراحل حياته الأولى.

المنهج التاريخي التحليلي: سلكنا هذا المنهاج لدراسة والتحليل ونقد آثار الرجل وأفكاره واستنتاج الحقائق العلمية المرتبطة بالموضوع، وهذا لتحقيق اكبر قدر ممكن من الموضوعية والابتعاد عن التطرف في الأحكام الذاتية لمجريات الأحداث.

خطة البحث: ولقد اتبعنا خطة تتكون من أربعة مباحث وهي:

خصصنا المبحث الأول: الذي جاء تحت عنوان أحمد توفيق المدني حياته وعصره للحديث عن أحمد توفيق المدني شخصيتا وفكرا مبرزين مولده ونسبه ووسطه العائلي والبيئة التي نشأ فيها المدني، وما هي العوامل التي ساهمت في تطوير فكر الرجل خلال المرحلة الأولى من حياته في تونس فعرضنا إسهاماته في معترك الحياة الفكرية والسياسية مما أدى إلى تصادمه مع الإدارة الفرنسية وإبعاده إلى الجزائر، وفي المطلب الثاني ذكرنا نشاطه في الجزائر، أما المطلب الثالث تطرقنا إلى حياته في الجزائر بعد نفيه إليها وبينا إسهاماته المختلفة في النهضة الثقافية بها خاصة نشاطه الصحفي في أهم الجرائد حديثة الظهور على الساحة الجزائرية، كما رصدنا مجموعة مؤلفاته التي تنوعت بين المذكرات الشخصية والكتب التاريخية التي أبرزت تاريخ الجزائر وربطها بالتاريخ المغاربي بالإضافة إلى منهاج الأستاذ المدني واهم معاصريه من مثقفين وعلماء عصره.

أما المبحث الثاني: فعنوناه بقضية الاستعمار في البلاد المغاربية حيث تطرقنا إلى طبيعة الاستعمار في المنطقة وكيف وقعت أقطاره الواحدة تلوى الأخرى، وما هي الطريقة التي كتب بها الغربيون عن هذه القضية، فاستعرضنا أولا احتلال الجزائر 1830الحماية على تونس 1881،، ولبيا 1911، المغرب الأقصى 1912، كما بينا موقف المدني من الاستعمار في كل قطر من الأقطار المغاربية، وهنا يتضح لنا توجه ونظرة المدني ومدى مناهضته للاستعمار.

المبحث الثالث: الوحدة المغاربية وقضايا الإصلاح وفي هذا المبحث قمنا بمعالجة قضية الوحدة المغاربية التي تناولها المدني في مؤلفاته بثلاثة عناصر.

وتطرقنا إلى البوادر الأولى للفكر الوحدوي بالمغرب العربي، ثم استعرضنا رواد هذا الفكر في فترته الحديثة أمثال الأخوين باش حامبة وعبد العزيز الثعالبي، واستعرضنا نظرة المدني الوحدوية.

دون أن ننسى قضايا الإصلاح التي أبرزنا من خلالها مكانة المدني كطرف مشارك ومساهم للحركة الإصلاحية في الجزائر تكلمنا عن أهم القضايا التي تناولها في مؤلفاته منها مشروع التجنيس والطرق الصوفية والظهير البربري.

المبحث الرابع: قضية الثورة الجزائرية وصداها المغاربي، فقمنا بعرض هذا المبحث لتوضيح موقف وموقع المدني من الثورة بحكم أنه فاعل فيها وشاهد على اندلاعها ورافق مختلف التطورات التي

حصلت ابتداءا من 1954 – 1962 معرجين بذلك بداية: بالوفد لخارجي الذي كان ينشط بالعاصمة المصرية وهذا كمحاولة منا لاستعراض نشاطه الدعائي لصالحها، وبعد ذلك تطرقنا إلى حقيقة الدور الذي لعبه في الحكومة المؤقتة حيث شغل منصب وزير الشؤون الثقافية مبرزين تعاطيه ورؤيته لصراعات التي كانت تعيشها القيادة الثورية.

انهينا هذه المباحث بخاتمة إذ استعرضنا أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة التي لم تستهدف شخص الرجل بقدر ما استهدفت فكره وكيف عالج قضايا المغرب العربي الكبير أثناء الوجود الاستعماري وعشية فترة الاستقلال.

نقد أهم المصادر:

تعددت المصادر والمراجع التي إعتمدنا عليها في هذه الدراسة وتنوعت مشاربها تباينت طريقتها في عرض الأحداث التاريخية، خاصة منها الصحف ومؤلفات أحمد توفيق المدني التي تعتبر القاعدة الأساسية في مشروع بحثنا والتي استنتجنا منها محور الدراسة وهي القضايا المغاربية.

الصحف: ويكتسي هذا النوع من المصادر أهمية كبيرة بالنسبة للبحث بحكم أن المدني نقل لنا من خلال مقالاته صورة حية وواقعية عن أوضاع المغرب العربي خاصة في جريدتي البصائر والشهاب اللتان كانتا لسان حال جمعية العلماء الجزائريين والتي نشط المدني بها، حيث أمضى في كثير من الأحيان باسم مستعار مثل المنصور وأبو محمد.

وهذه المقالات بقدر ما مثلت فكر الرجل ومدى وعيه بقدر ما هي تعبير عن الواقع المعاش في المغرب العربي وتصاعد سياسة المستعمر وهذا نلاحظه في مقالاته الصحفية.

الكتب:

تنوعت مؤلفات المدني بين الكتب التاريخية والكتب الأدبية من بينها نجد:

كتاب الجزائر: الذي جاء كرد على الاحتفالات المئوية سنة 1930 وتعبيرا عن رفضه لفكرة أنّ لجزائر فرنسية، إلا انه ذهب إلى ابعد من ذلك حين تكلم عن الجزائر وتاريخها الطويل الذي يتجاوز عتبة 1830 كما روج لها الفرنسيين.

إذن فالمدني قدم وعرض تاريخ الجزائر وهذا ما يجعل للكتاب أهمية بليغة بحكم انه صدر في عز النكبة الاستعمارية، وهذا ما أكده شكيب أرسلان عند حديثه عن الكتاب وأهميته.

مذكرات المدني الشخصية:

و هي لا تقل أهمية عن الكتب والمقالات الصحفية بحكم أنها صورة حية لفكر الرجل حيث نقلت وغطت كل مراحل حياته وصدرت بصورة منتظمة عبر فترات زمنية متتالية فنجد حياة كفاح الجزء الأول من 1898 إلى غاية 1925. أما الجزء الثاني لحياة كفاح من 1925 إلى 1954، والجزء الثالث من 1954 – 1962.

كتاب رد أديب على حملة أكاذيب: والذي جاء كرد على جملة ما لحق المدني من اتهامات في كتابة تاريخ الجزائر.

صعوبات البحث:

طول الفترة المدروسة حيث أنها ثرية بالتجارب النضالية،و البحث في الفكر السياسي لرجل والكشف عن الاختلاف والتنوع الذي تزخر به الحركة الوطنية بحكم أنه أحد أقطابها خاصة دوره في جمعية العلماء المسلمين

صعوبة الوصول إلى بعض الوثائق خاصة منها التي كتبت في تونس و الجزائر على حد سواء.

المبحث الأول

أحمد توفيق المدني حياته وعصره

تمهيد

1 – المولد والنشأة

2 – مسيرته الشخصية

3 – عصره

خلاصة

عرفت الجزائر عبر تاريخها الطويل العديد من القضايا التاريخية خاصة في الفترة الاستعمارية، هذا ما أدى إلى ظهور العديد من الكتابات التاريخية والتي اختلفت باختلاف توجهات مؤلفيها وتعدد ثقافتهم وثقافة عصرهم، فمنها نجد المدرسة التاريخية الفرنسية على وجه الخصوص التي وجهت لخدمة الاستعمار وتبرير سياسته وربطها بتاريخ المنطقة، المميز في المدرسة الفرنسية أن العسكريين منهم من عملوا على ربط تاريخ الجزائر بسنة 1830 وما سبق هذا التاريخ هو طمس للحضارة خاصة الفترة العثمانية منها وهنا نذكر فيروا مارسيه.

لهذا السبب ظهر مجموعة من الكتاب والمؤرخين الجزائريين الذين أرادوا بعث التاريخ الجزائري من جديد وتصحيح الأخطاء التاريخية التي تنفي وجود أمة أو دولة جزائرية من أساسه، تعتبر الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية ذات أهمية بالغة فهي تمثل صحوة وصورة هامة من التاريخ الجزائري، وهنا التاريخ يصبح مرادفا للوطنية والحرية، في نفس السياق يتساءل العديد عن حقيقة وجود مدرسة تاريخية لها منهجها ومؤرخيها، وخصائصها.

في الحقيقة فإن الحديث في هذا الجانب يدخل ضمن مرحلة ردود الفعل على المدرسة التاريخية الفرنسية هنا نجد ناصر الدين السعيدوني الذي يجعل كل من مبارك الميلي وعبد الرحمان الجيلالي ويركز على أحمد توفيق المدني الذي وضع أرضية الكتابة التاريخية ويعتبر رمز من رموز المدرسة التاريخية الجزائرية بحكم أنه مصدر هام جدا.

1- المولد والنشأة

أ- المولد:

هو أحمد توفيق المدني ابن محمد ابن أحمد المدني، ولد بتونس بنهج الناعورة، في الطريق الذي يفصل بين نهج الباشا ونهج التربينال في 24 جمادى الأولى 1317هـ الموافق لـ 1 نوفمبر 1898[1]، في تونس من أبوين جزائريين هما محمد المدني وعائشة بويراز ويعود نسب أحمد توفيق المدني إلى عائلة بن عمر[2] الغرناطية القبية التي لجأت إلى تونس بعد سقوط الجزائر في يد الاستعمار الفرنسي، وما انجر عنها من سياسة قمعية منتهجة ضد الجزائريين. [3]

أما والده فهو محمد بن أحمد المدني الغرناطي ولد بمدينة الجزائر سنة 1852، وهو من كبار علمائها درس بالجامع الكبير، وكان جده أمين الأمناء ومن سادة الأشراف. [4]

أما والدته فهي عائشة بنت عمر بويراز ابنة المجاهد مصطفى بويراز الذي شارك في معركة سطاولي، وهي في الأصل من أسرة تركية قدموا من تركيا في أوائل القرن التاسع عشر إلى الجزائر واستقروا بها. [5]

هاجر والده مع أسرته وأسرة جده من أمه عقب ثورة 1871 وهنا كان التقارب والتصاهر بين العائلتين الغرناطية والعائلة التركية، فالمدني إذن هو سليل عائلتين كانتا من أبرز الأسر المجاهدة في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي والمدني ولد في فترة شهدت تونس نشاط علمي فكان ميلاد المدرسة الخلدونية[6]، وازدهار الصادقية وجامع الزيتونة.

---

[1]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، م1، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 07.

[2]- بن عمر: هي عائلة أندلسية جاءت إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة 1492، حيث اليوم فيوجد في مدينة القبة بالجزائر شارع يسمى Ben Omar، أما ص فة المدني مقتبسة إلى المدينة المنورة(للمزيد أنظر إلى عبد القادر خلفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في الجزائر وتونس ص 12).

[3]- محمد صالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 319.

[4]- أبو عمران الشيخ وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، ط2، مؤسسة ص ونيام، الجزائر، 2003، ص 483.

[5]- يذكر الأستاذ محمد صالح الصديق أنه ولدى في 1 نوفمبر 1889، أما الأستاذ أبو عمران الشيخ فيذكر 1 نوفمبر 1899، أما المجني فيذكر أنه ولد في 1 نوفمبر 1898.

[6]- الخلدونية: هي مدرسة تونسية مشهورة وقديمة جذورها ضاربة في التاريخ، تأسست سنة 18 رجب 1314 الموافق لـ 23 ديسمبر 1896، درس فيها جل النخبة التونسيين حتى الجزائريين منه (للمزيد أنظر محمد بوطيبي مرجع سابق، ص 117).

أما أسرته فكانت متكونة من أربعة أخوة ثلاثة منهم ذكور: الهادي، أحسن، محمد علي وأخت واحدة تدعى خديجة ومن خلال مذكراته يورد أن أصل تسميته بتوفيق تعود إلى الاسم الذي أطلقه عليه فتحي بك عندما أعجب بذكائه وفطنته على الرغم من صغر سنة فمنذ ذلك الوقت أشتهر بهذا الاسم. [1]

ب– تعليمه:

وعن تعليمه يذكر أحمد توفيق المدني أن سبب نجاحه ونبوغه يعود إلى عائلتيه التي كانت سببا في بروز شخصيته وتنمية ذكائه وهذا ما يؤكده فيقول «... كانت الحياة في منزل فخم ناعمة وسعيدة... لم أكن ألعب مع الأطفال، وأنا أسمع من وراء الأبواب المنزل لغطهم وصراخهم وما يقولونه من بذيء الكلام الذي لم أكن أفقه منه له معنى، وأسأل أمي فتراوغ في الجواب وتقول لي إياك أن تختلط بهم... وما كان حديثها إلا عن الحرام وكل ما هو خبيث». [2]

إذن تربى المدني في جو العائلة العربية الإسلامية المحافظة على الشرف والدين التي تقوم بتوجيه أبنائها منذ نعومة أظافرهم إلى التعليم القرآني، ففي سن الخامسة من عمره أدخله والده الكتاب أين بدأ بحفظ القرآن، وهنا تميز المدني عن غيره من الطلاب بقوة الحفظ، وعندما بلغ التاسعة بدأت تظهر ملامح شخصيته في الجانب السياسي، حيث بدأ يقرأ الصحف والجرائد التي كانت تدخل تونس مثل العروة الوثقي، وبدأ يجادل ويناقش الطلاب في قضايا الساعة. وهذا راجع إلى الجو العائلي وخاصة تطلع أخواله على القضايا السياسية في تونس.[3] في سن العاشرة من عمره دخل المدرسة القرآنية الأهلية أين تعلم هناك مبادئ العربية والعلوم الدينية والعقلية: كالحساب والكيمياء بالاضافة إلى مبادئ اللغة الفرنسية، فتتلمذ على يد كبار مشايخ تونس في هذه الفترة نذكر منهم:محمد النخيلي، الصادق نيفر، أما في جامع الزيتونة فيذكر ثلة من مشايخه منهم: الشيخ معاوية التميمي في آداب اللغة العربية، فكان يقضي عشرة ساعات في الدراسة منذ صلاة الفجر إلى صلاة العشاء. [4]خلال

---

[1]– المدني ،حياة كفاح ، ج1، المصدر السابق، ص 18

[2]– المصدر نفسه، ص 41.

[3]– بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية مابين 1930-1900، ط خ، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص 152.

[4]– المدني، حياة كفاح، ج1، مصدر سابق، ص 42.

دراسته بالمدرسة الخلدونية في 1915 ظهرت كفاءته في الكتابة الصحيفة، جعلته يحرر عدة مقالات وطنية واجتماعية وسياسية نشرت بصحيفة الفاروق.

ما عرف عن المدني أنه محب للمطالعة، فكان يستعير الكتب لقاء ثمن زهيد يحكى أن سوق الروايات كان رائجا في هذه الفترة مثل دكان "علي بوغادير" المخصص لبيع وكراء الكتب، فتمكن المدني من استغلال وقته في المطالعة سواء مطالعة الروايات العربية أو المترجمة عن كبار المؤلفين أمثال: شكسبير وميشال زيفاكو، فهذا مما مكنه من الاطلاع على تراث حضارة العالم الغربي. [1]

إذن فترة صغر وطفولة المدني وكما يصفها بنفسه أنها فترة صالحة وطاهرة من حياته، فعند بلوغه سن التاسعة كان منفتحا على السياسة العامة وأساليبها وأكاذيبها إذ يقول: «... كنت مناضلا صبيا». [2]

والملاحظ أن المدني تميز وسط عائلته وزملائه بفطنته وسرعة بديهته، فيذكر لنا قصة طريفة حصلت أثناء مزاولته الدراسة بالمدرسة القرآنية مفادها: أن من بين زملائه، أخوين يكبر الآخر سنا، في إحدى الأيام تعرض الأخ الأصغر للعقاب من طرف المؤدب، فما كان من الأخ الأكبر إلا أن وضع يديه فوق رجلي أخيه فهو الذي كان يتحمل العقاب والألم والضرب المبرح، حتى انتهى سخط وغضب المؤدب.

فيقول أنه من هذه الحادثة تعلم أن الثورة تكون في سبيل الحق ضد الظلم والطغيان فكان أول درس تعلمه في التضحية والفداء. [3]

ويذكر أنه كلما زاد عمرا زادت معرفته للحياة وتغيرت نظرته لها في أدق تفاصيلها، ففي سنة 1909 تغير مجرى حياته، فكان شاهدا على الانقلاب العثماني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[4] حيث

---

[1]- ميسوم بلقاسم، الكتابات التاريخية خلال الفترة الإستعماري 1830-1962، دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف يوسف تلمساني، جامعة الجزائر 02، 2012/2011، ص 58 (غير منشورة).

[2]- المدني، حياة كفاح، ج1، مصدر سابق، ص 56.

[3]- المصدر نفسه، ص 58.

[4]- السلطان عبد الحميد الثاني: 1834- هو ابن السلطان عبد المجيد من زوجته الثانية بويع الخلافة العثمانية 1876 بعد أخيه مراد فكان عمره آنذاك 34 سنة في قصر سراي طوقبو، عرف عصره بعد بعصر الإصلاحات(للمزيد أنظر، إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث ص 183 ومابعدها).

إنتقلت عائلة جده إلى اسطنبول وكان شاهدا أيضا على احتلال المغرب الأقصى 1911 فكان للحادثة وقع على نفسيته، كما أن ليبيا في هذه الفترة شهدت أحداثا كبيرة وجسيمة نتيجة لإعلان الدستور العثماني الجديد 1909. [1]

2- سيرته الشخصية

إن الدارس لحياة أحمد توفيق المدني يميز فيها مرحلتين: المرحلة الأولى في تونس التي نشأ فيها فكانت البيئة الأولى التي احتضنت وكونت شخصيته ففرض نفسه على الساحتين الفكرية والإعلامية والسياسية، إذ تفوق ببعد نظر فكره مقارنة مع أقرانه في المدرسة، فحظي بمنزلة من المحبة والإكبار والتقدير رغم صغر سنه، أما المرحلة الثانية في الجزائر التي عمل فيها على توسيع دائرة نشاطه النضالي السياسي ضد المستعمر الفرنسي وسياسته المجحفة. [2]

أ- نشاطه في تونس:

إن للمدني حضور ونشاط قوي في تونس يعود إلى سن مبكرة خاصة أثناء مزاولته الدراسة في المدرسة القرآنية ويتضح هذا النشاط من خلال:

- **إسهاماته في المجال الفكري:**

إن حياة الأستاذ توفيق المدني الفكرية تندرج ضمن المراحل الأولى بتونس من حياته ونلاحظ بدون شك هذا التنوع في نشاطه بين العمل الصحفي وحركة التأليف في العلم والفكر، وهنا تظهر لنا مدى اتساع ثقافة الرجل فهو مزدوج اللغة فإلى جانب إتقانه للغة العربية فهو يجيد اللغة الفرنسية.

- **النشاط الصحفي**: نجد أن البدايات الأولى للعمل الصحفي للأستاذ المدني كانت عن طريق الاضطلاع على الصحف التونسية وهو في سن صغير —سن العاشرة- حيث اضطلع على صحيفة العروى الوثقي[3] والمؤيد، اللواء، التي تعبر عن توجهات الرأي العام ولسان حال له بالإضافة إلى أنه كان يتبادل الصحف مع زملائه داخل المدرسة القرآنية الأهلية مثل الصحيفة الراشدية والمنير،

---

[1]- المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 59.

[2]- المصدر نفسه، ص 105.

[3]- العروة الوثقي: هي جريدة أسسها جمال الدين الأفغاني ورئيس تحريرها محمد عبده ص در عددها الأول بتاريخ 13 مارس 1884 بباريس 1884 بباريس، وصلت جملة أعدادها 8 عددا، أعتبرت أول شرارة لإلهاب الكراهية ضد المحتل الأجنبي.(للمزيد أنظر عبد القدر خليفي، مرجع سابق، ص 183).

والتونسي فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن هذه الفترة من حياة المدني هي غنية بالنشاط العلمي والفكري. [1]

فالمدني إذن هو صحفي ومؤرخ بالدرجة الأولى فهو مزدوج اللغة كتب مقالته بالعربية وترجم أخرى من الفرنسية إلى لغته الأم العربية، فوجد نفسه مفحما في الحياة السياسية والثقافية، فهو محرر وكاتب صحفي وعلاقته بالتحرير ترجع إلى سن مبكرة، فكتب في العديد من المقالات في أمهات الصحف التونسية وأشهرها خمسة مقالات [2]، نشرت جريدة الفاروق[3]، تمحورت هذه المقالات حول الأوضاع في تونس خلال القرن 20م/14ه، فنجد على سبيل المثال مقال "كيف ننتقد وطننا" الذي صدر في 27 ديسمبر 1914، هذا المقال ومقالات أخرى وجدت صدى لدى الجماهير وهذا ما يؤكد بنفسه «... وهكذا ابتدأت حياتي الصحفية المبكرة، ولقد لازمتني ستين سنة، ولا أنسى ما اعتراني من نشوة وما وجدته في نفسي من اعتزاز عندما جاء الفاروق في نوفمبر 1914 يحمل بين طياته ذلك المقال وكنت أنظر إلى اسمي مطبوعا تحت مقالي كأنني ملكت الدنيا بما فيها».[4]

من خلال هذه المقالات يتضح لنا أن اهتمامات المدني كانت تعنى بقضايا الأمة العربية على وجه العموم كسوريا ومصر والقضية التونسية على وجه الخصوص، هذه الأخيرة أدت في كثير من الأحيان إلى تسلط الإدارة الفرنسية خاصة خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918، فتم تعطيل الكثير من الصحف وهذا دليل على أن المقالات كانت تحمل في طياتها الروح الثورية ضد المستعمر الفرنسي.[5]

بعد رفع الحضر على الصحف التونسية منذ 1920 مثل الميشر والمجلات كالقدير والبدر، أصبح المدني يكتب باسم مستعار تحت اسم المنصور بحكم أن السلطات الفرنسية تتبع تحركاته فكانت أولى مبادراته بعد الحرب العالمية الأولى هو تعريبه لمقال باللغة الفرنسية أصدرته المسجلة البرلمانية الفرنسية

---

[1]- المدني، هذه هي الجزائر، م 08، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 08.

[2]- محمد حسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، دار الهومة، الجزائر، 2000، ص 97.

[3]- الفاروق: 1913-1915 جريدة أسبوعية أصدرها عمر بن قدور الجزائري في 18 فيفري 1913 وتعد أول جريدة وطنية ترتقي إلى مصاف الجرائد العربية، وكانت اسلامية وطنية محضة ص در منها 95 عددا(للمزيد أنظر محمد ناصر، الصحف الجزائرية 1847-1939ص 45).

[4]- المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 105.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1995، ص 134.

وهو مقتبس من كتاب عبد العزيز الثعالبي[1] والذي عنوانه: "تونس الشهيدة" هذا الأخير الذي عمل بتونس ممثلا للأمة التونسية وإسماع صوتها للرأي العام الدولي حتى بعد نفيه إلى فرنسا ظل مناضلا من أجلها، وأعيد نشر هذا المقال في جريدة المشير[2] من طرف الطيب عيسى[3]. (4)

نشاطه في جريدة الفاروق: بدأ أحمد توفيق المدني الكتابة الصحفية مبكرا في جريدة الفاروق وعمره 16 سنة بإيعاز ومساعدة من حسين الجزائري الذي رأى من هذا الطفل اليافع تمكنه في طرح المواضيع وقدرته على التعاطي مع الأحداث التي تعيشها تونس خصوصا، وجريدة الفاروق التي كان يصدرها عمر بن قدور الجزائري[5] أدخلت المدني الصحافة من بابها الواسع.

كان أول مقال صحفي للمدني في نوفمبر 1914 بعنوان: "الإدمان الأول ووزراء الموت" فموضوع المقال جاء بصورة تهكمية بحيث يتحدث عن الموت التي إلتقت بطبقة النبلاء لكي تعين عليهم وزيرا... وخلاصة القصة أنها تتحدث حول الخمر ومفاسده وبحكم أنه محرم على المجتمع الاسلامي وآفة اجتماعية إزداد تعاطيه وهو من آثار المستعمر فله الدور الكبير في ارتكاب الجرائم والمعاصي التي حرمها الشرع الاسلامي. فضرب مثالا في ذلك أن الإدمان كان سببا في تدمير الحضارات السابقة وأصبح عملا مسببا للموت. (6)

أما مقاله الثاني فكان بتاريخ 04 ديسمبر 1914 بعنوان: "دعوة إلى الواجب أو المرأة التونسية والتعليم" هنا فتح أحمد توفيق المدني رغم صغر سنه نقطة مهمة وحساسة وهو موقع المرأة في المجتمع التونسي

---

[1]- عبد العزيز الثعالبي: 1874-1944: رجل سياسي تونسي من أصل جزائري، ينتمي لأسرة العلامة عبد الرحمان الثعالبي تزعم المقاومة السياسية بتونس، نشر كتابه الشهير تونس الشهيدة باللغة الفرنسية انتقد فيه بشدة السياسة الإستعمارية، أسس الحزب الدستوري 1920 اعتقلته السلطات الفرنسية ثم غادر تونس 1923، شارك في مؤتمر القدس سنة 1930 (للمزيد أنظر، محمد بوطيبي، مرجع سابق، ص 119).

[2]- المشير: جريدة عربية تونسية تأسست 10 جلنفي 1911، تصدر بشارع باب السويقة وهي جريدة شاملة لكل المواضيع المحلية والعالمية (للمزيد أنظر: محمد بوطيبي، مرجع سابق، ص 170).

[3]- الطيب بن عيسى 1885 مؤسس جريدة المشير من مناضلي الحزب الدستوري ومناضل في ص فوف الفكر الاشتراكي، اتخذ مواقف من الادارة الفرنسية أهمها الإصلاحات الفرنسية بتونس التي رأى أنها إصلاحات شكلية لا غير (للمزيد أنظر محمد بوطيبي، مرجع سابق، ص 199).

[4]- بوطيبي، محمد، المرجع السابق، ص 158.

[5] - عمر بن قدور الجزائري: 1886-1932، مصلح وصحفي جزائري من دعاة الوحدة المغاربية ساهم بقلمه في عدة ص حف مغربية ومشرقية، (للمزيد أنظر، بلقاسم محمد، الاتجاه الوحدي في المغرب العربي، ص 24).

[6]- محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 172.

وعالج الموضوع من منظورين: من زاوية المرأة والوطنية وزاوية في غاية الأهمية هي تعليم المرأة في ظل تطورات القرن 20م، فبين هذا الواقع المرير بإعطاء أمثلة عن نوعية التعليم فقال أن هم البنات التونسيات هو تعلم اللغة الأجنبية والغناء وما يتطلبه ذلك من فنيات الموسيقى، بالإضافة إلى مصطلح الحرية الذي أصبح متداولا عندهن فكان هذا نتيجة حتمية لمتطلبات المدنية وغفلة أوليائهن بالإضافة إلى الغزو الثقافي الغربي. [1]

بالإضافة إلى تحريره مقالات عن أخبار الوفد التونسي الذي سافر إلى باريس محاولا بذلك إبراز مطالب الوفد ومساعيه السياسية الرامية إلى إيصال صوت الشعب التونسي إلى الرأي العام الفرنسي. [2]

فمن وراء هذا المقال الأخير تبين حجم المضايقات التي يتلقاها المناضلون التونسيون داخل التراب التونسي وحتى خارجه ومن هذه الفترة بدأت السلطات الفرنسية تضيق الخناق على النشطاء السياسيين والصحف التي كانت تدعم آرائهم ونشرها.

وعلى غرار نشاط المدني في جريدة الفاروق نجد ذلك النشاط الواسع والمشهود له في مجلة الفجر الصادرة عن الحزب الدستوري الحر منذ أوت 1920، الذي كان منخرطا بها، حيث أشرف على التحرير والشؤون الإدارية في هذه المجلة، كما نجد المدني أيضا في جريدة الزهرة اليومية منذ 1924، فتولى رئاسة التحرير بها، فكتب عن محاولة الإستيلاء الفرنسي على الأوقاف وعن حركة التجنيس كوسيلة ومحاولة منه لتوجيه عموم الرأي العام التونسي للمحافظة على مقومات شخصيته في مقدمتها الهوية العربية الإسلامية. [3]

إذن فالمدني مثل عنصر الشباب مزدوج المعارف الغربية الواسعة والثقافة العربية، فبرزت القيمة الإنشائية الواسعة في المقالات التي كان ينشرها في الصحف باسم مستعار[4]، كشفت في منهاجها ومادتها عن أسلوبه العلمي وثقافته الفردية، هذا النشاط كان سببا في دخوله السجن سنة 1915،

---

[1]- محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص 173.

[2]- المدني، حياة كفاح، ج1، مصدر سابق، ص 107.

[3]- عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية الثقافية بتونس والجزائر، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007، ص 62. (منشورة).

[4] - تحول أحمد توفيق المدني للكتابة باسم مستعار هو "المنصور" بعد المضايقات من السلطات الفرنسية التي كانت تتبع تحركاته وهذا يدل على قيمة وخطورة ما كان يكتبه في مختلف الصحف التونسية.

بحكم أنه كان يسجل نشاطا ملحوظا في لجنة الصغار التونسيين التي كانت تحمل فكرا ثوريا يدعوا للاستقلال ضمن بلدان المغرب العربي الكبير على وجه الخصوص والعالم الإسلامي على وجه العموم، عن طريق الكفاح المسلح، فاعتقل من طرف السلطات الفرنسية واتهمته بالمساس بالسيادة الوطنية الفرنسية في ظل الحماية على تونس.[1(2]

بعد هدنة 18 نوفمبر 1918 تم إطلاق سراحه من السجن إذ ولج إلى ميادين متنوعة فإلى جانب نضاله الصحفي والسياسي ضمن الحزب الدستوري الحر وخطابه بالنوادي، فقد فتح باب التأليف والنشر كمنبر أخر للنضال فأول ما نشره "رسالة تونس إزاء جمعية الأمم " جاءت دفاعا عن حق تونس في هذه الجمعية، إلى جانب هذا " رسالة الحرية ثمرة الجهاد" و"تاريخ كفاح ايرلندا" والتي أعاد نشرها في صحيفة المشير التونسية، وفي سنة 1922 قام بإصدار كتابة "تقويم المنصور" رغم الصعوبات التي تلقاها من طرف الحكومة. [3(4]

– تأسيس الرابطة القلمية:

من بين مساعي أحمد توفيق المدني لترقية النشاط الإعلامي والصحفي في تونس تأسيس الرابطة القلمية من خلال جمع الكتاب الصحفيين تحت عصبة واحدة وهي هيئة رجال القلم والفكر سنة 1924 مع ثلة من رفاقه أمثال: محي الدين القليبي، وزين العابدين السنوسي أمين المال [5] وتولى المدني منصب الكاتب العام ومحي الدين القليبي كاتبا، فكان الهدف من إنشاء هذه الرابطة هو الدفاع عن الحركة العلمية في تونس عن طريق الصحافة على أساس مجموعة من المبادئ التي وضعت من طرف مؤسسيها من بينها:

–أن يلتزم الكتاب والمفكرون بمضمون هذه العصبة في جعل أقلامهم وقفا لخدمة المالية لبلادهم.

– التزام الكتاب والمفكرين بالابتعاد عن خدمة الأغراض الشخصية.

---

[1]– المدني، حياة كفاح، ج1، مصدر سابق، ص 100

[2] – أنظر للملحق رقم 01 ، ص 126.

[3]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 63.

[4] – أنظر الملحق رقم 02، ص 127.

[5]– المدني حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 397.

و تعد هذه الرابطة أولى محاولات التنظيمية لشد اللحمة بين الكتاب والصحفيين إلا أنها لم تعمر طويلا [1].

– في الفن الأدبي والمسرح:

بالإضافة إلى الدور البارز في ترقية الحياة العلمية بتونس وربطها بالقومية العربية في ظل الاستعمار وسياسته الداعية إلى فصل بلدان المغرب عن بعضها البعض، طمس شخصية وهوية القطر الذي هو الجزء من العالم الإسلامي نجد المدني كذلك يتعاطى الفن والعمل المسرحي كوسيلة للدفاع عن المقومات الثقافية لتونس وحتى بلاد المغرب العربي، وهو من رواد الفن الرابع في الفرقة المسرحية فرقة السعادة منذ 1924 والتي ضمت إلى جانب المدني مجموعة من الشباب الذين ينتمون إلى الحزب الدستوري الحر[2].

أما مواضيع القطع المسرحية فكانت ذات بعد وطني تحارب الإستبداد الاستعماري الفرنسي وتفضح أساليبه إلى جانب أنها تعكس مدى تبلور الوعي السياسي في الحياة السياسية التونسية[3].

تولى إدارة هذه الفرقة عبد الجليل الأرناؤوط وأخذت مكان مرموق في تونس أشهر تمثيلية هي مسرحية "طارق بن زياد" التي منع عرضها بسبب أنها كانت تعالج قضية سياسية محضة[4].

– مشاركته في تأسيس المجمع العلمي تونسي:

إن ما يلفت النظر في نشاط المدني في تونس هو مشاركته في تأسيس المجمع العلمي التونسي، في عز النكبة الاستعمارية حينما كانت تعاني تونس من نقص في الجانب العلمي، فتأسس هذا الأخير بإيعاز من أحمد توفيق المدني مع ثلة من رفقائه المناضلين من تونس أمثال الطاهر بن صفر

---

[1]– المدني حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 116,

[2]– المصدر نفسه، ص 116.

[3]– بوطيبي محمد، المرجع السابق، ص 175.

[4]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 11.

محمد بن حسين، وزين العابدين السنوسي، وعثمان العكاك[1]، بمقر قدماء الصادقية، ويهدف هذا المجمع إلى إعادة الأمجاد العلمية التونسية وينص قانونه الأساسي على:

1- تأسس هذه الجمعية بعاصمة المملكة التونسية تحت اسم "المجمع العلمي التونسي".[2]

2- المقصد من تأسيس هذا المجمع العلمي:

- إيجاد الألفاظ العلمية والعملية التي تحتاجها اللغة العربية من أجل السير دائما مع الرقي العلمي والتطور الاجتماعي.
- البحث عن آثار التونسيين العلمية والفنية.
- تعميم العلم والتنشيط عليه.

3- الأعضاء: يشترط فيهم معرفة اللغة العربية، والأعضاء العاملون يشترط فيهم أن يكونوا تونسيين ومن مدرسي جامع الزيتونة.

4- إلى باقي ما نص عليه القانون التأسيسي[3].

وعلى الرغم من أن هذا المجمع قدم قانونه الأساسي إلى كل من الوزير الأكبر للدولة التونسية ووكيل الجمهورية العام والمراقب المدني بتونس يوم 15 ماي 1924 إلا أنه لم يتم الموافقة على تأسيس هذه الجمعية العلمية إلا بعد إبعاد المدني إلى الجزائر في سنة 1925[4]، هذا يدل على أن نشاط المدني بتونس كان له وقع لدى الإدارة الفرنسية وكذلك مدى تأثيره في الأوساط المثقفة وحتى الشعبية التي كان فيها لسان معبرا عن أوضاعها الاجتماعية ليس المعيشية فقط وإنما العلمية لأن المدني كان على دراية تامة بها، ولمجابهة الاستعمار يستوجب الرفع من المستوى العلمي الذي من خلاله يمكن توعية الشعب بالمخاطر التي تدور حوله.[5]

---

[1]- عثمان الكعاك: 1903-1976 من أبرز رجالات الفكر في المغرب العربي عرف كموسوعة بذاكرته العجيبة، واتقانه للعديد من اللغات، ترك العديد من المؤلفات منها، تاريخ المسرح التونسي، للحضارة العربية في حوض المتوسط. (للمزيد أنظر عبد القادر خليفي، مرجع سابق ص 80)

[2]- المدني، حياة كفاح، ج1، مصدر سابق، ص 396.

[3]- حول القانون التأسيسي للمجمع العلمي التونسي (للمزيد أنظر إلى: المدني حياة كفاح، ج1، مصدر سابق، ص 394).

[4]- عبد القادر خليفي، مرجع سابق، ص 114.

[5]- المدني، حياة كفاح ، ج1 ، المصدر السابق، ص 397.

مع لجنة الخلافة:

منذ سنة 1909 تغيرت السياسة العامة سواء في تونس أو في العالم العربي الإسلامي حيث تم الإطاحة بنظام عبد الحميد الثاني بالإضافة إلى الإحتلال الفرنسي لمدينة فاس المغربية سنة 1911 وكذا الغزو الإيطالي لليبيا في نفس السنة، فهذه الأسباب أخرى دفعت المدني إلى تبني سياسة وطريقة نضال أخرى داعية للدفاع عن شرعية الدولة العثمانية وخلافتها فقام بتكوين لجنة الخلافة.

والملاحظ أن أحمد توفيق المدني لم تدفعه هذه الظروف فقط للدفاع عن الدولة العثمانية وإنما اقتناعه بفكرة أن الدولة العثمانية هي دولة لا إله إلا الله وأن ما لحق بها هو نتيجة حتمية للمخططات الغربية، فهي في منظوره الأداة الصالحة لجمع كلمة المسلمين والقضاء على الفرقة فقد تم إلغاء الخلافة التي كان من وراء إسقاطها يهود الدومنة وإعلاء كلمة الأتاتورك، يقول المدني أنه بالرغم من اختلاف الآراء حول المسألة من مؤيد ومعارض تيقن أن هذه الخلافة التي دامت قرون لم تكن مجرد سلطنة مدنية بقدر ما كانت سلطة روحية بالرغم من امتدادها الجغرافي. [1]

لذلك جاءت لتحية الخلافة كتعبير عن هذا الرأي لأن العالم الإسلامي أصبح في فوضى دينية فتكونت من: محمد معلي، عثمان الكعاك، الحبيب مزيو، وكان المدني رئيسا لهذه اللجنة التي عين من طرف أعضائها وكانت تعقد اجتماعاتها في منزله.

فكانت تعمل عن طريق مراسلة الخليفة وهذا ما يتضح في مذكراته حيث ينقل لنا رسالتين والتي كانت تتحدث باسم الشعب التونسي.

بالإضافة إلى أنه يعزز فكرته بالرسالة التي وجهها إلى حسن راغب ممثل تركيا في باريس التي عبر فيها عن احتجاجه عن إعلان إلغاء نظام الخلافة.

فمساعي المدني للدفاع عن هذا النظام الذي حمى المسلمين منذ ما يزيد عن ستة قرون ورفعت راية المسلمين في غربي المتوسط وشرقه ضلت فكرة راسخة في ذهنه إلى غاية إبعاده من تونس وصدى هذه اللجنة يقول: «كانت في لاهور تترجم مقالا عن الخليفة والخلافة وعن إتحاد المسلمين». [2]

---

[1]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 177.

[2]- المرجع نفسه، ص 399.

- **نشاطه السياسي:**

إن نشاط أحمد توفيق المدني جذوره إصلاحية مشرقية فهو تأثر بأفكار ابن تيمية ومحمد علي ورشيد رضا وليبيرالية لطفي السيد بالإضافة إلى أن نشأة المدني وفترة تعلمه بالزيتونة كان لها الأثر البالغ في تكوين شخصيته السياسية [1].

كما أن الأجواء التي سادت تونس أثناء الحرب العالمية الأولى من نفي وإبعاد لزعماء النخبة التونسية على رأسها باش علي حامبة الذي نفي إلى اسطنبول فأعلنت حالة الحصار على تونس أما البقية الباقية من التونسيين فقد انقسموا إلى جماعة مع جمعية الشهامة العربية، والتي كانت أقرب إلى الشعب، والجماعة الأخرى مع جمعية الآداب التي كانت تحت رعاية النادي التونسي وهي أقرب إلى النخبة وكان عبد العزيز الثعالبي من منتقدي جمعية الشهامة[2].

أما عصارة الفكر السياسي لدى المدني وتوجهاته فقد كانت ضمن الحزب الدستوري الحر الذي هو من ركائز الحركة الوطنية التونسية هذه الأخيرة التي وجهت لها ضربة سنة 1911 وهنا نقصد حادثة مقبرة الزلاج[3] التي سجل بها المدني نشاطا ملحوظا ومشهودا له، فالإدارة الفرنسية وضمن سياسة فرنسة الأرض أعلنت تسجيل هذه القطعة ضمن دائرة القانون الفرنسي الرافض لإلحاق هذه المقبرة التي كانت لها مكانة في نفوس التونسيين وعن هذه الحادثة يذكر المدني «... وأنا أنادي بأعلى صوتي: نموت ولا نسلم زلاجنا».[4]

ويؤكد المدني أن هذه الحادثة كانت مكيدة استعمارية التي راح ضحيتها عدد من التونسيين وما انجر عنها من إغلاق الصحف الوطنية وإبعاد مجموعة من رجال النخبة إلى خارج القطر التونسي دون أن ننسى القوانين المجحفة في حق التونسيين ممن شاركوا في التظاهر الذين حكم عليهم بالإعدام والأعمال الشاقة والسجن، وفي نفس السياق وفي هذه الفترة وبفعل المؤثرات فكرية خارجية مثل

---

[1]- محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، ط خ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005 ص 142.

[2]- المصدر نفسه، ص 51.

[3]- الزلاج: هي مقبرة شهيرة معروفة بتونس تضم قبور الصالحين والشخصيات التونسية شهدت أحداثا دامية منذ 1912 من إنتفاضات شاركت فيها النخبة أمثال الثعالبي والمدني والتي إنتهت بمقتل العشرات وإعتقال الكثير من المتظاهرين الذين كان من بينهم جزائريين كما تشير التقارير الفرنسية (للمزيد أنظر إلى بوطيبي محمد: مرجع سابق، ص 86).

[4]- المدني حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 89.

صدور "رواية الوطن" ونشيد "صوت الحرية" و"الوطن" لـ "نامق كمال"، كان لها الوقع في توجيه مساره السياسي وربطه بالواقع فامتزج بين العاطفة والعقل في حركة النضال [1]

بالرغم من تضييق الخناق على النشطاء التونسيين الذي كان للمدني من بينهم إلا أن هذا لم يثني من عزيمته فظهرت فكرة الثورة لديه في ديسمبر 1914 بالإشتراك مع أحمد نجاح، محمد نيفر، محمد الخليصي، والهادي مرّاح هؤلاء الذين اشتركوا مع المدني بنفس المبادئ وضرورة القيام بالعمل الثوري معه مهما إختلفت نتائجه وأساليبه وطرقه وظروفه، وتم تحضير لهذا العمل الثوري عن طريق الإجتماعات السرية والتي من خلالها تمت مناقشة المناهج العلمية للثورة والتخطيط لها ومن بين ما اتفقوا عليه[2].

- إخراج المجتمع التونسي من الخمول الذي أصابه بعد حادثة الزلاج.
- الدعاية ضد عملية التجنيد الإجباري.
- رفع معنويات الشعب والتخلي عن الشعور باليأس.
- التأكيد على أن الإنتفاضة ذات بعد مغاربي وتبتدئ بالنضال الوطني الشامل الذي يمتد إلى قبائل الجنوب والقيام بعمليات عسكرية ضد الحاميات الفرنسية
- إقناع طلبة الزيتونة بضرورة الإنضمام إلى الثورة[3]

ومن بين الإجتماعات الرسمية نذكر إجتماع مطبعة محمد التليلي[4] منذ 1919 وإجتماع مدرسة السلام وبدأت الدعاية التي انطلقت من صفوف جامع الزيتونة تم الإتصال بعلي فارس الذي تم إطلاعه عن مشروع الثورة ونوقشت معه مشكلة السلاح وقضية إنضمام أهل الجنوب إلى الثورة[5].

---

[1]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 118

[2]- المدني حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 104.

[3]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 121.

[4]- محمد التليلي، ولد عام 1880، درس في الصادقية وتحصل على شهادة المدرسة المهنية، اشتغل في الطباعة وتحصل على امتياز جريدة الزهرة(للمزيد أنظر بوطيبي محمد، مرجع يسابق، ص 155).

[5]- المدني المصدر السابق، ص 104.

والملاحظ ان توفيق المدني كان ضمن هذه الدائرة الثورية مكافحا بقلمه وهذا ما يظهر من خلال مقالاته السياسية بالإضافة إلى أنه كان مسبقا بين أقطاب الثورة إلى جانب الصادق[1] رزقي هذا المشروع النضالي الذي يقول الكثير من الباحثين والمؤرخون أنه ولد ثورة فاشلة الذي تم كشفها من طرف السلطات الفرنسية عن طريق وشاية من طرف محمد بن عبد الله الطرابلسي فتم تفتيش منزل المدني واعتقل في 26 فيفري 1915 وزج به في السجن بتونس.

– نشاطه في الحزب الدستوري: 1920

بعد أن قضى المدني 05 سنوات في السجن منذ 1915 تم الإفراج عنه في 1918، هذه الفترة التي قضاها في السجن لم تسمح له من مواصلة النضال فأثناء وجود به أمضى وقته في تعلم اللغة الفرنسية، فسعى بعد خروجه مع أصدقائه من قدماء حركة الشبان التونسي إلى تأسيس الحزب الدستوري الحر بهدف الحصول على دستور وطني تونسي والغاية التي يصبوا إليها هي إستقلال تونس ورفع الحماية الفرنسية عليها[2].[3]

وتعود فكرة إنشاء الحزب من الأساس بعد فشل مساعي عبد العزيز الثعالبي أثناء انعقاد مؤتمر الصلح واخفاق حركة ولسون، ففي 1920 وجه عبد العزيز الثعالبي رسالة إلى الشيخ حمودة المنيستيري مفادها أن حركة ولسون أخفقت لهذا لزم الأمر الإستعداد لكفاح طويل ومرير فعين المدني أمينا عاما مساعدا بالعربية 1920 [4]، أما ظاهريا فكان يعمل محاسبا بمكتب الطاهر المسنستيري أما في الخفاء فهو كاتب للحزب، فجاء تأسيس الحزب في الوقت الذي كانت السلطات الفرنسية تحاول السيطرة على الأوقاف، فوجد الحزب الفرصة للدعاية له في الأوساط الشعبية فنادى بتحرير الأرض من دنس الاستعمار وتقرر إرسال الوفود إلى خارج الوطن وداخله لتبليغ مطالب الحزب ومن بين هذه الوفود نذكر:

---

[1]– الصادق الرزقي: 1875–1939: تونسي من بنزرت درس بالزيتونة أصدر مجلة العمران الإقتصادية سنة 1921 ثم جريدة افريقيا من مؤلفاته الساحرة التونسي الأغاني التونسية، مسرحيات عنترة (للمزيد أنظر عبد القادر خليفي، مرجع سابق، ص 121).

[2]– أحمد توفيق، هذه الجزائر، م 08، ط خ، عالم المعرفة الجزائر، 2010، ص 17.

[3] - أنظر الملحق رقم 03، ص 128.

[4]– حسن فضلاء، المرجع السابق، ص 97.

وفد الأربعين 8 جوان 1920: هو الوفد الذي رفع مطالبه إلى السلطات التونسية الممثلة في الملك ناصر باي[1] تكوّن الوفد من العمال، التجار والفلاحين ترأسه محمد الصادق نيفر، فكان أحمد توفيق المدني من بين المخططين للزيارة في بيت الشيخ حمودة المنستيري، وبالرغم من الصعوبات التي واجهت الوفد تم عرض قضية تأسيس الحزب وإطلاعه على الوفد الذي سيتوجه إلى فرنسا لطرح مطالبه السياسية، فكان لهذا اللقاء الأثر الكبير بحيث انه وسع دائرة نشاط الحزب وعلاقتة مع الأهالي وزيادة عدد المنضمين المساندين له، وسمي بوفد الأربعين لأنه تكون من أربعين عضوا حملوا مطالب الحزب.[2]

وفد باريس 22 ديسمبر 1920: توجه هذا الوفد إلى باريس بقيادة الطاهر بن عمار للمطالبة بقضية عدم إستحواذ السلطات الفرنسية على الوقف وهي القضية التي شجعتها الأحزاب اليمينية الفرنسية، وهي النقطة التي كا ن المدني من أشد المعارضين لها، ومن بين المطالب الأخرى:

- مشاركة التونسيين في إبتياع الأراضي المخصصة للمستعمرين.
- حرية الصحافة والإجتماع والمؤسسات[3]

أما عن المنبر الذي كان من خلاله يوصل أعضاء الحزب كلمته إلى الشعب التونسي، فلم يكن للحزب صحيفة ينشر فيها خطبه ويعبر من خلاله عن نشاطه، لأن قانون الصحافة كما وصفه المدني كان ضيقا وإنما عمد أعضاء الحزب ومفكروه إلى النشاط في أكثر من صحيفة فإذا تسلطت الإدارة الفرنسية على واحد منها بقيت الأخرى ناشطة بالإضافة إلى تأسيس اللجنة التنفيذية التي كان من أعضائها عبد العزيز الثعالبي الذي كان يلقي خطبه الثورية السياسية بالإضافة إلى ثلة من الكتاب على رأسهم محي الدين القليبي والمنصف المنيسيري وتوفيق المدني هذا الأخير الذي كان يكتب في منبر السياسة الخارجية تحت توقيع "المنصور".[4]

---

[1]- الناصر باي: 1855-1922: ولد بالمرسى تعلم العربية والفرنسية وسمي واليا للعهد 1902 ليتولي الحكم في 11 ماي 1905 واستمر حكمه 16 عاما، أصدر مجلة العقود، أدخل لأول مرة نواب تونسيين في مجلس الشورى، عرف عهده حادثة الزلاج(للمزيد أنظر محمد بوطيبي مرجع سابق ص 158).

[2]- المرجع نفسه، ص 158.

[3]- يوسف مناصرية دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، ط خ، دار الهومة، الجزائر، 2013 ص 135.

[4]- المدني، حياة كفاح ج1، المصدر السابق، ص 240.

فكان من النقاط التي يركز عليها المدني في مقالاته هو الكفاح الشعبي في العالم العربي دون أن يخصص قطرا جغرافيا معينا فمثلا هو تونسي المولد وجزائري الأصل لكنه ناضل في تأييده للشعب التركي على إثر التحولات التي شهدتها تركيا في هذه الفترة وأثرها الكبير على الجانب الاجتماعي، وتحدث عن نضال المصريين بقيادة سعد زغلول ضد مساعي الإنجليز في جعل مصر أرضا انجليزية، فالمدني من خلال نشاطه في الحزب الدستوري الحر التونسي كان يحمل للشعب التونسي ما يعانيه أشقائه في الأقطار الأخرى فكانت محاولة منه لشد الهمة لمكافحة المستعمر [1]

ومن القضايا الشائكة التي أثارها المدني من خلال مذكراته هي قضية تنازل الملك الناصر باي بعد زيارة لوفد الأربعين واجتماعه به، هذه النقطة التي تكلم وتحدث عنها الكثير من المؤرخين من بينهم شارل أندري جوليان من خلاله كتابه مسيرة الشمال الإفريقي والتي من خلال ما طرحه المدني فإن جوليان لم يعطيها صورتها الحقيقية فبعد إشتداد الحركة الدستورية وزيارة ألكسندر ميران إلى الأقطار الثالث المغاربية والتي بدأت بالمغرب الأقصى والبلاد الجزائرية وانتهت بالمملكة التونسية والتي أكد من خلال هذه الجولة ان المغرب العربي مرتبط بفرنسا إلى الأبد[2].

أما عن لقائه بالملك الناصر باي فيؤكد المدني أن المؤامرة حيكت في القصر ضد الحزب والشعب التونسي الذي ساند الحزب فأفظى اللقاء أن الدستور غير صالح للبلاد الذي نشر كبلاغ من طرف الإقامة العامة الفرنسية فسبب تحرك الإدارة الفرنسية على هذا النحو هو مساندة الباي للحزب وعقب نشر البيان حصلت تجمعات شعبية أمام القصر والتي دلت على مدى تجذر الحزب الدستوري الحر في الأواسط الشعبية وهذا ما تأكد من خلال خطاب الملك الناصر باي [3].

– نشاط المدني في الجمعية العمالية التونسية:

على غرار النشاط السياسي الفعال لأحمد توفيق المدني في الحزب الدستوري الحر التونسي، نجد ذلك الدور في الحركة العمالية التونسية منذ 1924 والتي انغمس فيها غير راغب [4] فكان يرى الأنسب للعمال التونسيين عدم إتباعهم للمنظمة العمالية الفرنسية التي تعتبر إبتلاعا ولا تعبيرا عن

---

[1]– المدني، هذه هي الجزائر المصدر السابق، ص 07.

[2]– المصدر نفسه، ص 253.

[3]– المدني ، حياة كفاح ج1 ،المصدر السابق، ص 248.

[4]– المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 282.

آمالهم وحقوقهم كما أن إنضمامهم لشيوعيين ما هو إلا دعاية أجنبية تهدف إلى دمج العمال في معركة إديولوجية بعيدة كل البعد عن الوطنية، ففي منظوره الأنسب لهم هو الاستقلال التام وإنشائها على أسس قومية متينة.

ظهرت يوم الفاتح من نوفمبر 1924 النقابة العمالية التونسية بزعامة أحمد توفيق المدني ومحمد المحامي لكن هذا المشروع فشل وانبعث من جديد يوم 03 ديسمبر 1924 تحت اسم جمعية عموم العمال التونسيين وهنا نلاحظ ذلك الدور الذي لعبه المدني في جمع العمال فيا عصبة واحدة بعيدة كل البعد عن الإديولوجية والمطالبة بحقوقها في إطار قانوني[1].

في حين نجد ذلك الترابط بين الجمعية العمالية والحزب الدستوري الحر الذي كان يدعمه ماليا وفي آن واحد نجد ذلك صراع بين الحزب الإشتراكي الذي تعارض مع الحركة العمالية في مطالبها، في حين إزدادت سياسة الإدارة الاستعمارية ضدها ففي 25 فيفري 1925 ألقت القبض على محمد علي والمختار المعياري والرفيق فندوري الذين أتهموا بالتآمر ضد أمن الدولة فأعقب ذلك العديد من الأحداث انجر قتلى جرحى[2].

لهذا كان على هذه الحركة أن تنضم إلى الجامعة الأممية الثانية برئاسة جوهو والذي كان يتولى أمرها بتونس دوريل وذلك لتكسب قوتا ودعما خارجيا، فيذكر المدني أن نشاطه في هذه الحركة من بين الأسباب التي أدت إلى نفيه إلى الجزائر.

لكن الدراسة المتبقية تظهر لنا أن العلاقة التي كانت تربط الحزب الدستوري الحر بهذه الحركة قد أخفقت بسبب تباين الأهداف إذ ما أخذنا بعين الاعتبار أن الحزب الإصلاحي كان ضمن دائرة النشاط السياسي وكذلك الصراع الخفي بين هذه الأطراف الثلاثة لكن في نهاية المطاف في سنة 1925 شكلوا جبهة واحدة بنيت على أساس احترام حق كل حزب والاحتفاظ بمبادئه الخاصة هدفت هذه الجبهة إلى وضع برنامج إصلاحي من أجل النهوض بحالة تونس وإبطال تهمة التعامل مع الشيوعيين.[3]

---

[1]- بوطيبي محمد، المرجع السابق، ص 169.

[2]- المدني حياة كفاح ، ج 1 ، المصدر السابق، ص 290.

[3]- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 261.

ب- نشاطه في الجزائر

تعد سنة 1925 السنة الفاصلة في حياة المدني ونشاطه السياسي والفكري بتونس فنظرا لمقاومته الجريئة ضد المستعمر الفرنسي وبعد مسرحية طارق بن زياد والمقال الذي كتبه عن ثورة الريف وعبد الكريم الخطابي ونشره في جريدة إفريقيا حيث فضح أساليب وآليات الإدارة الفرنسية في بلاد المغرب فتم نفيه إلى الجزائر بلاد أجداده في 05 جوان 1925 حيث أعلن الحاكم العام رسميا قرار طرده إلى الجزائر[1] فيذكر المدني عن هذه الحادثة «... وهكذا في ميدان التضحية والجهاد غادرت موطنا عزيزا علي له مركز متين في الفؤاد أو حللت ببلد الأجداد والآباء مهد البطولة والجهاد ومرتع التضحية والإستشهاد... حتى أستأنف الجهاد بقلب جريء». [(2)]

فبالرغم من إبعاد المدني إلى الجزائر والرقابة المتواصلة عليه من قبل المصالح الفرنسية الأمنية فإنه استمر في نضاله وكفاحه على الصعيد السياسي والإجتماعي والثقافي فاستطاع أن يكيف تجربته النضالية مع الظروف الخاصة بالجزائر بغرض توعية الشعب الجزائري، حيث واصل كفاحه من اجل العروبة والإسلام ومقاومة التيار الفرنسي الداعي إلى الفرنسة والاندماج [(3)]، فلقد صور لنا المدني أساس نشاطه في الجزائر المبني على القومية فكان يعمل بالجزائر بروح تونسية، فهي في منظوره العمل واحد والجهاد مشترك ضد عدو واحد وإن اختلف المكان.

فمنذ 1925 كانت الأوضاع بالجزائر لا تدعو إلى التفاؤل وكل المؤشرات تؤكد وتتنبأ بقرب وقوع انتفاضة وطنية، هذه الظروف التي كانت تختلف عما شهده المدني في تونس فإلى جانب الحراك السياسي وتغير السياسة الفرنسية في الجزائر بدأ يظهر ولو بنسبة قليلة أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، فالمدني كان على يقين أن وضع الجزائر لا يتغير بنشر مقالاته ولا إلقاء الخطب، وإنما بثورة شعبية عارمة، لكن على الرغم من هذا فإن المقالات بمختلف أنوعها، كانت تعبيرا على الخطاب السياسي للمدني الذي كان خطابا إصلاحيا يدعوا إلى النهوض بحال الأمة الجزائرية ورفض الاستعمار والتمسك بالهوية، فانطلق مع حاملي راية النهضة العربية الإسلامية في الجزائر الذي يقودها عبد

---

[1] - أنظر للملحق رقم 04، ص 129.

[2]- المدني حياة كفاح، ج1، المصدر السابق ص 464.

[3]- المدني، هذه هي الجزائر المصدر السابق، ص 08.

الحميد بن باديس[1] ليوقظ العقل ويحرر الفكر ويثبت بالحجة والبيان أن الحياة في ظل الاستعمار ذل وهوان.[2]

– نشاطه جمعية العلماء المسلمين:

في الفترة الواقعة بين 1931 و1920 عرفت الجزائر يقظة شملت كل مظاهر الحياة الجزائرية الاجتماعية منها العلمية والصحفية فجاء بعد الفساد الذي ساد البلاد بسبب سياسة المستعمر، بدأ يظهر الدور الفعال للعلماء والمصلحين إلى جانب الحركات الأخرى في التعبير عن حال الأمة، فظهرت فكرة تأسيس جمعية دينية إصلاحية تجمع شملهم منذ 1924 لكن الفكرة بحكم الظروف تأجلت إلى غاية 1931 حيث عمد أحمد توفيق المدني رفقة العلامة ابن باديس على ارساء القواعد الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي حاربت الخرافات والبدع فكان أعضائها من المؤلفين والصحفيين والمدرسين، أما المدني على حد قوله فكان محرر القانون وبرنامج نشاطها وعلى هذا الأساس عمل مسؤولا بصفة مباشرة في جريدة الشهاب الناطقة الرسمية للجمعية ولسان حالها تحت رئاسة ابن باديس[3].

وعليه فإن الجمعية كانت الوعاء الجديد الذي احتوى نشاط أحمد توفيق المدني في الجزائر فكانت بداية عمل المدني إيقاظ الروح الإصلاحية في هذه الفترة عن طريق نشاطه كمحرر بجريدة الشهاب[4] في منبر السياسة الخارجية [5] ولتجنب ضغوطات الإدارة الفرنسية فإنه استعمل أسماء مستعارة "المنصور"، "أبو محمد" أما في الصحف الأخرى فإن يستعمل اسم الخبير "نفريت"، "أ ت م" وتميزت مقالاته بالمرونة في صياغة القضايا السياسية والتعامل معها فلم يترك ركنا لمعالجة القضايا

---

[1]– ابن باديس: 1889–1940: من مواليد مدينة قسنطينة من عائلة محافظة ومشهورة، درس بجامع الزيتونة يجيد اللغة الفرنسية 1913في شرع في التعليم بالجامع الكبير، 1914 أدى فريضة الحج وزار معظم مدن المشرق، وهو من حاملي لواء الإصلاح في الجزائر، أسس رفقه معاصريه جمعية العلماء المسلمين التي دعت إلى العروبة والاسلام، توفي بمسقط رأسه سنة 1940(للمزيد أنظر عبد الكريم بوصفصاف المرجع السابق، ص 60).

[2]– محمد الصالح الصيديق، المصدر نفسه ص 325.

[3]– المدني، هذه هي لجزائر ، المصدر السابق ، ص 09.

[4]– البصائر: هي الجريدة الرابعة التي تصدرها الجمعية وهي من اكبر الصحف العربية شهرة ظهرت في سلسلتين شعارها الآية القرآنية ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ الأنعام:401 تولى رئاستها الطيب العقبي والابراهيمي، أحمد توفيق المدني (لمزيد أنظر عبد القادر خليفي، مرجع سابق ص 164).

[5]– المدني حياة كفاح ج2، ط خ، عالم المعرفة الجزائر، 21، ص 257,

الوطنية إلا وطرحها وإنما ذهب المدني إلى أبعد من ذلك وهو اطلاع القارئ على مجريات الأحداث العالمية هذا ما إذا ماأخذنا بعين الإعتبار الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر فهي عانت من الثالوث الأسود، فتواصل نشاط المدني الصحفي من خلال الجمعية إلى غاية توقف الشهاب سنة 1939[1].

بعد اشراف الشيخ الإبراهيمي على رئاسة الجمعية أصبح المدني أمينا لها ورئيس تحرير جريدة البصائر والذي كان نصيبه منها قسم السياسة الخارجية بصفة خاصة منذ 1947، وهنا يظهر الجانب السياسي من نشاط جمعية العلماء الذي تناوله على أساس مبادئها فتكلمت عن تجاوزات المستعمر محليا وعالميا إلا أنها غيبت في كثير من الأحيان القضايا الوطنية وهذا تفاديا لغلق الجريدة من طرف الإدارة الفرنسية، أما المدني فطرحه كان سياسي على خلاف البشير الإبراهيمي الذي تملك أسلوبا أدبيا محضا، فمن بين المقالات التي نشرها المدني في البصائر، مقال بعنوان "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية"[2]، وعلى العموم فإن الجمعية إحتوت المدني من خلال جرائدها ولأن فكره كان فكرا إصلاحيا حديثا.[3]

– بعد أحداث 08 ماي 1945:

بعد أحداث 8 ماي 1945 تصاعد الكفاح السياسي المكثف على جميع الجبهات وبدأت تأخذ الحياة السياسية مسار جديد حيث اجتمعت مختلف الأحزاب السياسية مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي وجمعية العلماء المسلمين في مكتب المدني بهدف تشكيل إتحاد يقوم بحماية حقوق الإنسان وأنتخب المدني أمينا دائما لهذه الجبهة.[4]

فانعقد الإجتماع التأسيسي في 25 جويلية 1951 بالجزائر أما اللجنة التأسيسية فعقدت إجتماعها في 5 أوت 1951 بالجزائر العاصمة بقاعة السينما دنيازاد واتفق أعضاء اللجنة على المطالب نذكر منها:

---

[1]– عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى 1931–1945، رسالة ماجستير في ت ج ع، اشراف توفيق بورد، جامعة قسنطينة، 1983 – 1984، ص 101 وما بعدها (منشورة).

[2]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 170.

[3]– أحمدتوفيق المدني، "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية"، م البصائر، ع 182، الجزائر، 1953، ص 18.

[4]– المدني هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 10.

- إلغاء الإنتخابات التشريعية التي جرت في جوان 1951.
- إحترام حرية الإنتخابات في الدور الثاني.
- إحترام الحريات الأساسية حرية التفكير الصحافة.
- عدم تدخل الإدارة الفرنسية في الشؤون الدينية الإسلامية.
- تحرير المعتقلين السياسيين وإبطال العقوبات.
- المفروضة على ميصالي الحاج.[1]

إن تأسيس هذه الجبهة جاء كتعبير صادق على نضال المدني في إطار جمع كلمة الجزائريين فقد أعلن عن ذلك في أكثر من مناسبة خاصة في خطبه مثل: الخطاب الذي ألقاه بتاريخ 19 أوت 1951 بالملعب البلدي حسين داي حيث أكد فيه أن فرقة الجزائريين هي نقطة مهمة في قوة الإدارة الاستعمارية، فعن هذا النشاط كتب مقالا مطولا في جريدة البصائر حيث أكد أن الجبهة هي نواة الإتحاد الجزائري المقدس.[2]

ومن بين المواقف التي عبرت عن مبادئ هذه الجبهة هي مقاطعة الإنتخابات العمالية في شهر أكتوبر 1951 وكذلك إرسال وفود إلى المناطق الجزائرية الأخرى غير العاصمة، أما المدني فكان يقوم بإرسال برقيات تضامنية إلى الأقطار العربية المغاربية الأخرى باسم الجبهة، وبالرغم من أن هذا التشكيل السياسي الذي لقي نقدا لاذعا ممن عاصروا المدني وكتبوا عنه إلا أنها تمثل مبادرة من بوادر الوعي الوطني.

في حين يذكر لنا الأستاذ "محمد قنانش" في كتابه ذكرياتي مع مشاهير الكفاح أنه بعد أحداث 8 ماي زار المدني في مكتبه حيث سأله عن رأيه فيما حدث فأجابه: «... كنت أومن بالثورة قبل أحداث الثامن ماي ولكن الآن ولولا لطف الله الذي أوجد على رأس الولاية العامة رجلا كالوالي العام "شاتينو" كانت الكارثة تكون أفظع».[3]

---

[1]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 231.

[2]- أبو محمد "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها أعظم موقف تتخذه الجزائر المجاهدة في تاريخها الحديث"، م البصائر، ع 167، الجزائر، 1951، ص 01.

[3]- محمد قناش، المصدر السابق، ص 142.

– المدني وثورة التحرير:

منذ 1954 شهدت الجزائر ثورتها المباركة التي توجت كفاح الشعب الجزائري طيلة مئة وعشرين عام، فكان لأحمد توفيق المدني دورا في هذا النضال الذي لم يتوانى في الإنضمام إلى جبهة التحرير الوطني كممثل شرعي لشعب وناطق للثورة، فإن تكلمنا عن مساهمة المدني في الثورة فالحديث يكون قبل 1954 لأنه هيأ للثورة من خلال مقالته الصحفية وخطاباته التي لم يفوت أي مناسبة للحديث عن الاستعمار وأساليبه القمعية سواء في الشهاب[1] أو البصائر أو في جمعية العلماء المسلمين كعضو إصلاحي بها وحتى من خلال مؤلفاته مثل كتاب الجزائر الذي صدر في الاحتفالية المئوية لاحتلال الجزائر فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن المدني كان مدركا لحقيقة الاستعمار وأن نهايته قريبة[2]، هنا يظهر أن المدني موقفه من الثورة كان في إطار عمل الجمعية فلا يمكن فصل بين موقفه الشخصي من الثورة وموقف الجمعية منها.

فالمدني ومن خلال مذكراته كان على دراية بقرب موعد الثورة بعد زيارته إلى باتنة في أكتوبر 1954 وكما أن أعضاء الجمعية كانوا على دراية بتاريخ أول نوفمبر منذ البداية أما البيان الحاسم للجمعية في 07 جانفي 1956 الذي حرر المدني نصه بتكليف من الشيخ العربي التبسي وهذا البيان أكد على ضرورة ايجاد حل للقضية الجزائرية بصفة رسمية[3] وأكد أيضا على أن الجمعية نقطة بريد جبهة التحرير الوطني، وكما وصف الفضيل الورثلاني ثورة الفاتح من نوفمبر "الأمة الجزائرية كلها ثائرة وحزب واحد"[4] إذن المدني لم يخرج عن هذا المضمون فكان نشاطه في الوفد الخارجي للثورة.

ونشاطه بالقاهرة سنة 1956 كرئيس للمكتب الثوري بها[5] وكان طيلة الثورة على رأس الوفود للبلدان العربية، فهو سفير فوق العادة في ثلاث عواصم: بغداد–طهران–أنقرة، وعند إعلان تأسيس الحكومة

---

[1]- الشهاب: هي جريدة أسبوعية تصدر باللغة العربية أنشأها العلامة ابن باديس 1925 مبدأها إصلاحي ديني تبحث في كل ما يرقى بالمسلم بلغت من الأعداد 178 في أربع سنوات حولت إلى مجلة شهرية واستمرت كذلك إلى عام 1958، تقرر توقيفها لأجل الحرب ع2 وبعدها بقرابة سنة أوقفت نهائيا لأجل وفاة مؤسسها، (للمزيد أنظر: عبد القادجر خليفي، مرجع سابق، ص 19)

[2] – المدني، حياة كفاح، ج3،دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 ص 510.

[3] – بوطيبي محمد، المرجع السابق، ص 323.

[4] – الفضيل الورثلاني، الجزائر الثائرة، ط خ، دار الهدى، الجزائر، ص 414.

[5] – محمد الصالح الصديق، المرجع نفسه، ص 329.

المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تشكلت بالقاهرة في شهر سبتمبر من سنة 1958 برئاسة فرحات عباس عين المدني في منصب وزير الشؤون الثقافية يشرف على توجيه وتنظيم ورعاية الطلبة الجزائريين في البلاد العربية والأوروبية وهذا ما يؤكده المقال الذي نشر عنه في جريدة المجاهد[1] الناطقة الرسمية لجبهة التحرير، وبخصوص النشاطات السياسية للحكومة فقد واجهت أزمة حادة وهي المؤامرة التي تزعمها العقيد العموري مسؤول الولاية الأولى على حد شهادة المدني أنها تركت أثرا بين المدنيين والعسكريين فازداد الخلاف بينها.

3- عصره

أ – تأسيس المنهاج:

منذ مطلع القرن العشرين بدأت صورة الجزائر الفرنسية تتغير في نظر الرأي العام الأجنبي والعالم العربي بحكم التحولات الفكرية بداية ظهور بوادر النهضة التي كانت من أبرز سماتها حركة التأليف خاصة في التاريخ الذي من خلاله تم ابراز أمجاد الماضي وتبيان حالة الشعب الجزائري المتدهورة دون التخلي عن الوطنية الجزائرية. [2]

من حملوا لواء التغيير هم المفكرون والمصلحون أمثال أحمد توفيق المدني الذي كان رجل قلم بمؤلفاته العديدة والقيمة بحكم أنها مصدرية تحتوي على وثائق وصور نادرة حول الحركة الوطنية التونسية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فمقالات ومؤلفات المدني تبرز ثقافته الواسعة فهو يكتب بالعربية ويجيد الفرنسية بالاضافة إلى قدراته الأدبية الخاصة والمتميزة فاتبع الرجل في كتاباته التاريخية منهج الكتابة بحسب الأحداث وطبيعة المواضيع وربطها بمجالها الزماني فالتاريخ عنده لا يسبق الحادثة التاريخية وغالبا ما يتبع الترتيب الكرولونوجي للأحداث وهذا ما يتوافق مع منهاجه في الكتابة التاريخية، مثال: في مذكراته حياة كفاح بأجزائه الثلاثة نجد ذلك الترتيب الكرولونوجي لكن هذا الترتيب يندرج ضمن سيرته الشخصية فكان مولده بتونس إلى غاية 1925 حيث تم طرده منها، ليبدأ

---

[1] – أحمد توفيق المدني، "وضعية الطلبة الجزائريين في الخارج" ج المجاهد، ع 89، الجزائر، 1958، ص 02.

[2] – عبد الرحمان بن ابراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، المؤسسة م وط ك، الجزائر، ص 55.

نشاطه بالجزائر إلى غاية 1954 حيث التحق بالثورة وما بعد 1902 استعمل مسيرته ضمن الجزائر المستقلة إذن فهذا التسلسل الزمني يتوقف مع مراحل حياته. [1]

والملاحظ أن كتابات المدني إذا ما قورنت بمعاصريه فهو مؤلف طويل النفس يتناول المواضيع من كل جوانبها ويركز على الجانب التاريخي منها فنتلمس تلك النظرة الاستشرافية محاولا بذلك ربط الجزائر بماضيها وما يحدث في حاضرها، والملاحظ أن مادته العلمية مأخوذة من مصادر غربية حاولت تشويه التاريخ الجزائري، فالمدني هنا لا يقف موقفا وسطيا وإنما يدعو إلى كتابة التاريخ من جديد بالتدقيق فيما كتبه المستشرقون وغير المستشرقين وتصحيح ما كتب عن تاريخ الجزائر إذن فهو يتصدى للمدرسة الغربية بطريقة ذكية في حين وكما وصفه الكثير من الكتاب والمؤرخين على أنه المؤرخ الوحيد الذي جمع بين الذاتية الجزائرية والاقليمية المغاربية، وفي كل الأحوال وبالرغم من الانتقادات التي وجهت إليه ولمنهاجه في الكتابة فإنه يعتبر رائدا من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية. [2]

ب – معاصريه من العلماء:

بحكم المسيرة الطويلة النضالية لأحمد توفيق المدني بين القطرين تونس والجزائر نجد أنه عاصر الرواد الحركة الإصلاحية في البلدين، ففي تونس دائرة معاصريه كانت تشمل أعضاء المدرسة الخلدونية والصادقية وأعضاء الحزب الدستوري الحر أمثال الثعالبي والصادق نيفر وغيرهم، أما في الجزائر فنجد أن من عاصروه هم من رواد الحركة الإصلاحية كأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- **بعض معاصريه في تونس:**

– حسن قلاتي: هو حسن قلاتي بن علي أحمد الجزائري الأصل من ولاية المدية بقصر البخاري 1880 هجر إلى تونس بعد إحتلال فرنسا للجزائر وهو من عائلة بورجوازية، فوالده كان مترجما رسميا يتمتع بالخبرة الإدارية والتوثيق نشأ قلاتي نشأة أوروبية فكان ميالا للغة الفرنسية واليونانية تحصل على شهادة الحقوق في مدينة الجزائر والتحق بمدينة تولوز الفرنسية أين التحق بكلية الحقوق وتخرج منها عام 1902. [3]

---

[1] – الحاج عبد القادر يخلف، "المؤرخ أحمد توفيق المدني ومذكراته حياة كفاح"، م العصور الجديدة، ع، 3–4، الجزائر، 2011–2012، ص 175.

[2] – عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 170 وما بعدها

[3]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 121 وما بعدها.

إن حسن قلاتي يعتبر قطبا من أقطاب السياسة فكان من الناشطين بجريدة التونسي مع علي باش حامبة كما كان مساهما في حرب، وجراء حادثة الزلاج 1911 والترمواي 1912إذ تم القبض عليه ونفي إلى الجزائر، فكان من المشاركين في تأسيس الحزب الدستوري الحر، تأثر بإصلاحات سان لوسيان فأسس 1921 الحزب الإصلاحي، كما أصدرته جريدة البرهان في 45 عدد فقط، هذا الانشقاق الذي قام به قلاتي ضد الحزب الدستوري فيعلق عليه فيقول " أنه نكبة ومن أشد ما انتاب تونس "، أما قلاتي كرجل صحافة فهو يعتبر من المتخصصين في ميدان الصحافة التونسية فحرر مقالات في جريدة التونسي التي كانت تصدر تحت عنوان "العدلية التونسية "الموقعة باسمه فمن بين المواضيع التي تناولها قضية المحاكم في تونس في هذه الفترة بالاضافة إلى موضوع الملكية العقارية. [1]

كما يعتبر قلاتي من الأعضاء الناشطين في الحركة الوطنية التونسية، ففرضت عليه الرقابة المشددة من طرف السلطات الفرنسية بسبب تحركه الدائم ودوره السياسي في تونس حيث شهد له البعيد قبل القريب، أما عن علاقة المدني بهذا الرجل فقد كان محاميه في فترة دخول المدني إلى السجن غير أنه لم يتفق مع مقلاتي في عمله السياسي في الحزب الإصلاحي لأنه أحدث أزمة سياسة في تونس. [2]

– عبد العزيز الثعالبي:

هو عبد العزيز الثعالبي بن ابراهيم عبد الرحمان الثعالبي ولد في مدينة تونس 1874 نشأ وتعلم في كنف جده عبد الرحمان الثعالبي الجزائري، حافظ للقرآن تعلم النحو والأدب والعقائد درس في مدرسة السويقة بتونس ثم التحق بالزيتونة وتخرج منها سنة 1896 حاملا شهادة التطويع وبعدها واصل دراسته بمدرسة الخلدونية 1896، انضم إلى الحزب الوطني الاسلامي كما كتب في العديد من الصحف والجرائد، مما جعل السلطات الفرنسية تضيق عليه الخناق فهاجر إلى ليبيا ثم إلى الأستانة وبعدها إلى اليونان وبلغاريا، فعبد العزيز الثعالبي واحد من المجاهدين الأوائل في الحركة الوطنية التونسية وكفاحه لم يكن تونسيا فقط وانما تجاوز مداه إلى العالم الإسلامي فكان من واضعي أسس النهضة رفقة جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمان الكواكبي. [3]

---

[1] – بوطيبي محمد، المرجع السابق، ص 180.

[2]– المرجع نفسه، ص 223.

[3] – المرجع نفسه، ص 116.

ما يلاحظ على النشاط السياسي لثعالبي هو بدايته الأولى مع حركة الشباب التونسي التي كانت مرجعيتها تعتمد على مقاومة الاحتلال والمحافظة على الهوية الوطنية والمقومات الثقافية، هذه الحركة التي ترأسها باش حامبة الذي حمل أفكار تنويرية التي نجدها في جريدة الإتحاد الإسلامي حيث كانت الناطق الرسمي للحركة معبرة عن آرائها وكان من المشاركين في حركة الزلاج 1911 والترمواي 1912 مما أدى إلى نفيه في 16 مارس 1912 إلى فرنسا.

بعد رجوعه من المنفى لم يتوقف نشاطه السياسي بل بقي عمله السياسي يسير في الخفاء وطيلة الحرب إذ بقي الثعالبي من المخلصين لمبادئه إلى غاية ظهور الحزب الدستوري الحر الذي خلف حزب الشباب التونسي 1919[1] أما أحمد توفيق المدني ينظر إلى نفي الشيخ الثعالبي أنه زاد في النكبة التونسية شدة فتونس في رأيه كانت محتاجة إلى خطبه. [2]

عن آراء الثعالبي إذا ما قورنت مع أحمد توفيق المدني فهما يتفقان في النضال من أجل المغرب العربي ككل فنظرة الثعالبي تبرز أكثر من خلال مؤلفاته التي كانت على شكل حوليات والتي تناول فيها جانبا عن الدولة العثمانية بالخصوص عن نشاط السلطان عبد الحميد الثاني ومآسي المشرق العربي ما نستشفه أيضا أن مؤلفاته هي دراسات تأملية فكرية وعلمية التي كانت تعبيرا عن تجاربه ورحلاته، والثعالبي لم يكن يفرق بين جهاده السياسي والفكري بين الاستعمار الفرنسي والانكليزي والايطالي فكان همه الوحيد وحدة المسلمين ضد القوى الاستعمارية، أما جهاده التونسي فنجده في كتاب تونس الشهيدة الذي لقي شعبية ليس في تونس فقط وإنما تعدى إلى العالم الخارجي حتى ترجمت فصول منه في الجرائد الأمريكية، في حين فرضت السلطات الفرنسية الحجر على نشر هذا الكتاب وسحبها من الأسواق بحكم أن ما يتناوله الثعالبي في هذا الكتاب زعزع كيان الحماية الفرنسية فبين أن الحماية التي فرضت على تونس منذ 1881 تتعارض مع مبادئ الثورة الفرنسية. [3]

---

[1] – شارل أندري جوليان، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تع محمد مزالي وبشير ين سلامة، ش ت ف ر، ص 133.

[2] – أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 277.

[3] – يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 142 وما بعدها.

- **بعض معاصريه من العلماء في الجزائر:**

– البشير الابراهيمي:

هو محمد البشير بن محمد سعيد طالب الابراهيمي من مواليد 14 جوان 1889 برأس الوادي في سطيف من أسرة علم محافظة، تتلمذ على يد الشيخ محمد المالكي الابراهيمي دخل مجال التدريس في سن مبكرة وعمره أربعة عشرة سنة، منذ 1911 ذهب إلى مصر حتى لا يطبق عليه قانون التجنيد الاجباري وهنا إلتقى بكبار علمائها مثل حافظ إبراهيم ثم أنتقل إلى المدينة المنورة فأكمل تعليمه على يد الشيخين العزيز الوزير التونسي وحسين أحمد فيض أبادي الهندي، وهنا التقى الابراهيمي بعبد الحميد بن باديس 1913، وفي 1917 هاجر الابراهيمي إلى دمشق رفقة 80 ألف من سكان المدينة وذلك بأمر من السلطان العثماني وهنا اشتغل بالمدرسة السلطانية الدمشقية، عاد إلى الجزائر في 1920 وهنا انطلقت رحلة الابراهيمي في الحركة الإصلاحية. [1]

إن الحديث عن جهود الابراهيمي إذا ما قورنت بأحمد توفيق المدني فإننا سنتكلم عنها في نفس الفنترة الاستعمارية وكذلك في إطار مساعي الجمعية التي تأسست منذ 1931 حيث ظهرت كرد فعل على الاحتفالية المئوية للاحتلال، فظهر البشير الابراهيمي كشخصية بارزة وهذا ما أدى إلى ابعاده إلى آفلوا بالغرب الجزائري حيث أوقف وفرضت عليه الاقامة الجبرية إلى جانب ابن باديس الذي أبعد إلى قسنطينة، بعد سنة 1943 أفرج عليه فاستمر في ممارسة عمله الإصلاحي في إطار جمعية العلماء المسلمين وكرئيس لها بعد وفاة ابن باديس، في سنة، 1952 سافر الابراهيمي إلى بعض البلدان العربية للمطالبة من حكومتها منحا دراسية لطلبة الجزائريين. [2]

أما عن نظرة الابراهيمي للجزائر في ظل الاستعمار فهي أمة جزائرية عربية مسلمة يرفض أن تكون كما يريدها الاستعمار، فالأمة لا توجد إلا بمقومتها الجنس–اللغة–الدين والتقاليد، ما يلفت الانتباه أيضا أن الابراهيمي كان لا يفوت أي فرصة لتنويه بعنصر الشباب فهو في منظوره الطاقة الخالصة التي سيكون عليها الاعتماد للنهوض بحال الأمة الجزائرية واخراجها من المعنى الغربي الخبيث إلى المعنى العربي الطيب. [3]

---

[1] – بوعلام بلقاسمي وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1954–1962، ط خ، م م ول ب ج وث، الجزائر، 2007، ص 80.

[2] – عمر بن قينة، ص وت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ط2، م كولوريوم، الجزائر، 2010، ص 213.

[3] – العربي زبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، د ط، م م وم، الجزائر، 1995، ص 93.

وفي المجال الصحفي نشط الابراهيمي في جريدة البصائر حيث كان يكتب المقالات الافتتاحية وهو يرى أن للقلم أمانة يجب أدائها ويجب تسخيره للدفاع عن حقيقة الأمة الجزائرية، هنا يتفق فكر المدني مع الابراهيمي إلا أن الابراهيمي كان يتناول الموضوع بصياغة أدبية محضة أما المدني فبطريقة سياسية.

فسواء كان المدني سياسيا واختلف معه في ذلك الابراهيمي بأسلوبه الأدبي ا إلا أنهما يتفقان في مناهضة الاستعمار فكانا من قادة الإصلاح والفكر بطابع خاص،[1] وعن علاقة الرجلين نذكر الرسالة التي بعث بها البشير الابراهيمي إلى المدني وهو بمنفاه بآفلو حيث شرح له وضعيته ومدى حزنه وأساه.[2]

– مبارك الميلي:

هو مبارك الميلي الهيلالي المدعو الميلي من مواليد المليلة بالقبائل الصغرى من نواحي قسنطينة من أسرة متواضعة من حفظة القرآن تتلمذ على يد الشيخ محمد الميلي، زاول دراسته بجامع الأخضر عند ابن باديس بقسنطينة ثم واصل دراسته في تونس بجامع الزيتونة، اشتغل مدرسا في قسنطينة ثم في الأغواط 1927–1933، وهنا عمل على نشر مبادئ اللغة العربية أصولها كمحاولة منه لرفع من المستوى الثقافي والاجتماعي للمنطقة.[3]

إن الشيخ مبارك الميلي رفقة ابن باديس والابراهيمي والمدني مثلوا القوة الأمثل والأنجع للحركة الإصلاحية الجزائرية فهم النواة المذهبية لهذه الحركة، وعلى هذا الأساس يعتبر الميلي شخصية إصلاحية بارزة وذات وزن كبير بين جماعة المصلحين،[4] وكان الشيخ يتميز بروح الغيرة على وطنه الذي كان يراه يسير نحو التدهور والانحطاط، في حين كانت الدول الغربية في حالة من الرقي الصناعي والعلمي هذه الأفكار التي ترجمها الميلي في جمعية العلماء المسلمين حيث كان أمين ماليتها منذ 1931 ثم في 1937 كلف بإدارة جريدة البصائر التي نقلها إلى قسنطينة 1940 وهنا حافظ الميلي على مبدئه وهو

---

[1]– باعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الامامين، ط2، ط خ، منشورات الحبر، الجزائر، 2008، ص 107.

[2]– أحمد طالب الابراهيمي، آثار البشير الابراهيمي 1940–1952، ج2، ط خ، دار الغرب الاسلامي، 1997، ص 37.

[3] – محمد حسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، دار الهومة، الجزائر، 2000، ص 24.

[4] – علي مراد، الحركة الصلاحية الاسلامية في الجزائر 1925–1940، تر محمد يحياش، ط خ، دار الحكمة، الجزائر، 2001، ص 106.

تغيير البنية الاجتماعية والخروج بالمسلمين من التخلف الفكري والجمود العقائدي وهذا ما أدى إلى تعارضه مع الخليفة جلول الذي كان يهدف إلى تدعيم نفوذه الشخصي على الجماهير هذا الصدام أدى إلى رحيل مبارك الميلي من الأغواط.

إن نشاط الميلي في مجال التعليم والدعاية المكتوبة أدى إلى تلقيبه بالفيلسوف من طرف أصدقائه فهو الذي أفاد حركة الإصلاح بمصنفات مذهبية مثل رسالة الشرك وبدأ في الكتابة في المجال التاريخي عن طريقة مؤلفه: تاريخ الجزائر في القديم والحديث وهنا تلتقى وجهة نظر المدني مع مبارك الميلي في الكتابة التاريخية فكلامها انطلقا من فكرة تبيان تاريخ وماضي الجزائر الذي يمتد إلى غاية 000،500 سنة إلى الوراء فهما يتصديان للمدرسة التاريخية الفرنسية التي تجسد فكرة الجزائر الفرنسية[1].

دون أن ننسى ما قدمه الميلي في جريدة الشهاب من مقالات صحفية بارزة ومهمة، إن علاقة من عاصروا المدني تبدو واضحة سواء من خلال أنهم اجتمعوا على فكرة واحدة وهي فكرة الإصلاح حتى وإن اختلفوا في المنهاج، وتبقى فترة 1931-1945 هي الفترة التي لا تزال ثمارها الفكرية يانعة إلى حد الآن ففي غصون هذه السنوات ظهرت الجمعيات الدينية الإصلاحية والأحزاب السياسية حيث استعملت كل الأساليب والمناهج لمقاومة الاستعمار الفرنسي بشتى أساليبه. [2]

[1]- عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 83.

[2] - المرجع نفسه ، ص 107.

ج – أهم مؤلفات المدني:

الكتب[1]

المؤلف	عنوان الكتاب	سنة النشر
أحمد التوفيق المدني	تقويم المنصورة ج 1 تقويم المنصورة ج 2 تقويم المنصورة ج 3 تقويم المنصورة ج 4 تقويم المنصورة ج 5	1922 1923 1924 1925 1930
أحمد التوفيق المدني	كتاب الجزائر	1931
أحمد التوفيق المدني	هذه هي الجزائر	1957
أحمد التوفيق المدني	محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791	1937
أحمد التوفيق المدني	المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا	/
أحمد التوفيق المدني	جغرافية القطر الجزائري	1948
أحمد التوفيق المدني	مذكرات الحاج بوشريط الزهار نقيب أشراف الجزائر	/
أحمد التوفيق المدني	حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792	/
أحمد التوفيق المدني	حياة أطول الدايات	1917
أحمد التوفيق المدني	محاضرات في الفكر واللغة والتاريخ	/
أحمد التوفيق المدني	رد أديب على حملة أكاذيب	/
أحمد التوفيق المدني	تاريخ افريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجة	1927
أحمد التوفيق المدني	حياة كفاح: ج1 ج2 ج3	

[1] - عبدالقادر خليفي ، المرجع السابق ص 271 .

أهم المقالات التي نشرها أحمد توفيق المدني[1]:

الاسم المستعار أو الصحيح	عنوان المقال	الجريدة أو المجلة	العدد	تاريخ النشر
نفريت	العقارب	جريدة النجاح	ع 428	1 ماي 1927
المنصور	بين الموت والحياة	جريدة الإصلاح	ع 13	27 فيفري 1930
أحمد توفيق المدني	التجنيس	جريدة البلاغ الجزائري	ع151	23 فيفري 1930
المنصور	المصاب الجلل	الشهاب	ج6 ج 11	سبتمبر 1935
أحمد التوفيق المدني	هل تحافظ النمسا	جريدة الإرادة	/	28 جانفي 1934
أحمد التوفيق المدني	الخلافة الاسلامية	جريدة الزهراء	/	24 مارس 1924
أحمد التوفيق المدني	مسألة اللغة القومية	جريدة النديم	/	18 فيفري 1928
أحمد التوفيق المدني	دروس لوزان	جريدة الاتحاد	/	06 أفريل 1923
أحمد التوفيق المدني	بين الشرق والغرب	جريدة الاتحاد	/	27 أفريل 1923
أحمد التوفيق المدني	مبايعة الخليفة	جريدة الاتحاد	/	01 ديسمبر 1922
أحمد التوفيق المدني	عبد الحميد بن باديس الرجل العظيم	مجلة الأصالة	ع 4	أفريل 1977
أحمد التوفيق المدني	شكيب أرسلان بطل الجهاد في كل الميادين	مجلة الثقافة	ع 76	جويلية أوت 1983
أحمد التوفيق المدني	الاخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر	مجلة الثقافة	ع 75	ماي جوان 1985
أحمد التوفيق المدني	البشير الابراهيمي كان أمة جبلا عصرا	مجلة الثقافة	87	ماي جوان 1985
أحمد التوفيق المدني	رأيت وسمعت في 8 ماي 1945	الشعب الأسبوعي	81	5 ماي 1977
أحمد التوفيق المدني	الجهاد الجزائري في الخارج	مجلة الأصالة	ع 22	أكتوبر نوفمبر 1974

[1] - عبد القادر خليفي ، المرجع السابق ص 272 .

د – دراسة في بعض المؤلفات:

– كتاب الجزائر:

إصدار الكتاب: جاء الكتاب المدني الجزائر ردا على الاحتفالات المئوية 1932، نعبر فيه عن رد فعل عن الاحتفالات التي أكدت فكرة الجزائرية التونسية، ما ميز هذا الكتاب أنه يظهر شخصية المدني كمؤرخ الذي أراد اخراج الصورة التاريخية الجزائرية العربية الاسلامية المشبوهة هنا نقصد مشكلة الهوية والشباب المثقف ثقافة فرنسية.

الكتاب: كتاب الجزائر مقسم إلى أربعة عشر قسما تندرج ضمن المجالات الثلاثة التالية:

- التاريخ
- الجغرافيا
- الحالة الراهنة 1931

التاريخ: فيضم ستة أقسام وهو مجال تكلم فيه المدني في تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى غاية 1930 فتكلم عن العنصر البشري المكون لها فذكر العنصر البربري أصوله عوائده ونظمه قبائله ثم العنصر العربي من حيث أصله وقبائله ومضاربة وأخلاقه، ثم اليهود والأروبيين فقال أن تزايد هذا العنصر ما هو إلا نتيجة حتمية لقانون التجنيس الذي عكس السياسة الفرنسية اتجاه الأهالي.

الجغرافيا: يضمن هذا القسم قسمين السابع والثامن وهما عبارة عن بطاقة هوية الجزائر طبيعيا: الموقع–الحدود–المساحة–السواحل التضاريس الغلاف النباتي إلى جانب التقسيم الاداري في العهد الاستعماري أو ما يصطلح عليه المقاطعات الادارية الجزائرية أما الشيء الذي يلفت الانتباه في الموضوع هو ايراد المدني ترجمة لـ 72 مدينة من أمهات القطر الجزائري. [1]

[1]– المدني، كتاب الجزائر، مصدر سابق، ص 12 وما بعدها.

الحالة الراهنة 1931: وتضم القسم 9-14 يتكلم عن الجانب السياسي أو الحالة السياسية للجزائر 1930، فتكلم عن الإدارة العامة-المجالس المنتخبة-التعليم-النظام القضائي والحالة الاقتصادية وحالة المسلمين الجزائريين في ظل تصاعد المنظومة القانونية الفرنسية في الجزائر.

التحليل:

الدارس لهذا الكتاب سيتنتج ويتضح له أن الجانب التاريخي الذي أريد به تقديم الحالة الشخصية للجزائريين قليلة إذا ما قورنت بالمجال الجغرافي وحتى حديثة عن وضعية الجزائر 1930، التي عرض وأعطى أبعادها وانتقدها فمثلا: تحدث المدني عن السياسة الفرنسية في الجزائر القاضية بأحداث التفرقة بين الجزائريين على الأساس المذهبي أو العقائدي بين ذلك الصراع بين الاباضية والمالكية فطالب وأكد على ضرورة الوحدة الوطنية في إطار تعدد المذاهب الدينية أما عن سنة 1930 فتكلم عن عدة مواضيع فتحدث من موضع الناقد والمتمرد عن حالة الإرادة العامة في الجزائر.

فذكر فساد نظام القضاء أو التعليم الذي اورد فيه مقارنة بين عدد الطلبة في الجزائر وشقيقتها تونس مقارنة أو بالاخذ بعين الاعتبار الكثافة السكانية فرأى أنه من الضروري أن تبنى قاعدة التعليم على المدرسة القرآنية فأورد لنا وصف جميل عن حالة الجزائري المسلم في القطر فقال «من حيث القانون الدولي هو فرنسي ومن حيث المعاملات الداخلية فهو رعية فرنسي يقوم بالواجبات ولا يتمتع بالحقوق وإن أراد حقوق عليه أن يتخلى عن شخصيته» إذن فالمدني يقف إلى جانب ابن باديس في رأيه رافضا بذلك سياسة الادماج وهو من دعاة الحداثة والتجديد. [1]

يتبين لنا كذلك أن المدني ونظر مبارك الميلي يلتقيان في إظهار شخصية الفرد البربري والعربي عبر التاريخ على أنهم السكان الأصليين للقطر الجزائري وهما يشكلان أمة جزائرية واحدة غير قابلة للذوبان في الغير وهنا نقصد الاحتلال.

أهمية الكتاب:

قيمة الكتاب وأهميته تظهر من خلال أصداء ظهوره إلى غاية اليوم:

---

[1]- المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 244.

1- الكتاب صدر في عز النكبة الاستعمارية، والمدني يعتبر من رجال الإصلاح في الجزائر من الأوائل ممن ألفوا بالعربية في تاريخ الجزائر إلى جانب مبارك الميلي الكتاب عمل معاني جديدة مثل: الوطن الأمة الوحدة وهذا يتضح من خلال الوهلة الأولى فالغلاف شعار الجمعية: الاسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا.

2- ما قاله أمبر البيان شكيب أرسلان:

"ظهر كتاب بقلم الوطني الفاضل أحمد توفيق المدني... لا يصح أن يخلوا منه أحد ممن يريدون الاطلاع على الأحوال المغرب الأقصى".

3- ابن باديس"الخدمات التي يجب تقديمها للبلاد في مثل هذا الظرف هي نظير ما اختطه المدني"

4- في حين جعل سعد الدين بن شنب أن الكتاب ليس تاريخي نظرا لمواضيعه.

5- قيمة الكتاب تظهر أكثر من خلال المادة التي نبت عليها مواضيعه:

– أحمد توفيق: هو في حد ذاته مصدر لأنه عاصر فترة 1930 وما سبقها

– اعتماده على مؤلفات بالفرنسية مثل كتاب موريس فيولت "هل تعيش الجزائر" وستيفن غزال "تاريخ افريقيا الشمالية"

– صورة الغلاف التي تلفت الانتباه للقارئ وفي آن واحد تلخيص لما جاء في الكتاب وهي صورة رسمت بيد عمر راسم. [1]

مذكراته: حياة كفاح ثلاثةأجزاء

حياة كفاح الجزء 01: في تونس منشأ الولادة إلى 1925

هي مذكرات أحمد توفيق المدني في جزءها الأول وهي على حد قوله تقديم بطاقة تعريفية لحياته في تونس فيتكلم في البداية عن مولده ونشأته الطيبة وعن نسبه العريق ممتدة الجذور بين القطرين (الجزائر وتونس) ومما يذكر عن نفسه: "انه خلق ثائرا وحينما تكون الثورة يكون "فهو من مواليد جمادى الثانية من 1317ه الموافق 1 نوفمبر 1898 بتونس جزائري لأصل غرناطي من نسب بن عمر.

[1]- ميسوم بلقاسم، كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني – دراسة تحليلية نقدية- مجلة المصادر، العدد 16، الجزائر، 2007، ص 16.

تعليمه: هو من أبناء الزيتونة تتلمذ على يد كبار شيوخها والمدرسة الأهلية كما يذكر أن الوسط العائلي كان مدرسته الأولى فكانت والدته تجتهد في تعليمه سورا من القرآن والأحاديث النبوية فلم يكن يلعب مع أقرانه وانما يجالس الكبار أمثال أخوله وجده فيسمع عن فضائح الاستعمار الفرنسي، أما المدرسة فلم يكن يتقيد بصف أو بامتحان وإنما إعتمد على مطالعته للكتب اتبعت هذه المرحلة الصالحة من حياته في حدود التاسعة من عمره ففي هذه الفترة كان يقرأ الصحف التونسية وتفتح ذهنه على السياسة العامة وأساليبها وأكاذيبها فكان مناضلا صبيا على حد قوله. [1]

ثم ينتقل للحديث عن الاحتلال العثماني 1909 وفوز الأحرار العثمانيين بالسلطة وخلع السلطان عبد الحميد الثاني من خلال حديث المدني عن هذه المرحلة من تاريخ الدولة العثمانية يتضح ولائه لها وأنها هي السبيل الوحيد لجمع كلمة المسلمين، كما يذكر تاريخ 31 ماي 1911 حيث دخلت فرنسا المغرب الأقصى وفرض الحماية عليه وردود فعل أهل المغرب عن طريق المقاومة الشعبية ووقع ذلك على كل الأقطار المغاربية والتي سبقتها حرب ليبا بعد إعلان الدستور العثماني 1909 والتي تبين من خلالها أن احتلال البلدان العربية يبدأ من الداخل عن طريق الدسائس التي تستعمل بين مختلف الطوائف الدينية لتهديم بناء السلطة من أساسه.

ثم يذكرنا بالسياسة الاستعمارية: الدعاية لطمس العنصر التونسي وهويته فيذكر حادثة الزلاج الشهيرة 1912 وهي صغيرة بتونس دنستها أقدام المستعمر الفرنسي ويذكر لذلك الأحداث التي أعقبت الحادثة بالاضافة إلى نشاط رجال الإصلاح أمثال عبد العزيز الثعالبي بالرغم من وجوده بباريس وقبل ذلك في تونس في ظل محاولات التجنيس الذي منح لليهود وانعقاد المؤتمر العربي بباريس.

أما فترة الحرب العالمية الأولى فهي التي عبرت عن فترة شبابه وشخصيته وثقافته ومن خلال مقالاته التي كانت تنشر في جريدة الشروق بين لهج الهواجس وهي خمس مقالات كانت تحمل وتعبر عن روحه الثورية ومناهضته للاستعمار وتعبيرا عن الأوضاع التي كانت تعيشها تونس في حدود 1915، هذا التاريخ الذي زج بالمدني في السجن والذي مكث فيه خمس سنوات والذي يذكر بنفسه أنه لم يكن مجرد زمنية من حياته وإنما فترة نضال أخرى ففيه رأى الوجه الآخر للمستعمر أو ما يسميها سياسة الكيل بمكيالين بالإضافة إلى أن السجن علمه أن يكون عصاميا في تعلمه.

---

[1]– المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 12 وما بعدها.

بعد خروجه من السجن سنة 1918 فكان هذا التاريخ بداية أخرى لنضاله السياسي فكان من مؤسسي الحزب الدستوري التونسي رفقة محمد شنيف وغيرهم هذا الحزب كما يذكر المدني كان لسان حال الشعب والرأي العام التونسي وعلى غرار هذا النشاط، نجد نشاطه في المجمع العلمي التونسي ونخبة الخلافة وهما رمز لشخصيته الأدبية والعلمية دون أن ننسى نشاطه المسرحي في فرقة السعادة.

يختم المدني مذكراته في جزءه الأول أن نفيه إلى الجزائر كان بالغ الأثر في نفسيته إلا أن هذا لم يثبط عزيمته في الاستمرار في الكفاح وجهاد القلم. [1]

حياة كفاح الجزء الثاني: 1925-1954

هذا الجزء هو من منشور المدني بالجزائر منذ 1925 إلى غاية الثورة المظفرة 1954 فيذكر:

أول ما دخل الجزائر كان من قسنطينة هنالك إلتقى منابع ورجال إصلاحها منهم مبارك الميلي وعبد الحميد بن باديس ومولود بن موهوب وأثناء حديثه أفرد لكل منهم جانبا من كلامه أما مشواره في الجزائر كان عبر.

جمعية العلماء المسلمين وهنا كتب مقالات في الشهاب ثم البصائر وهنا تظهر موافقة من قضايا منها التجنيس الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر وقضايا إصلاحية أخرى كما وأنه يظهر تطلعه إلى الوحدة المغاربية في ظل تصاعد موجة التحرر وتغير الموازين بين القوى العالمية وتضارب الايديولوجيات، بمعنى العمل بروح قومية فيذكر: المملكة المغربية ومصر وسوريا وليبيا فهو يجعل من الكفاح ضد المستعمر أرضية ورابط مشترك بين مختلف الأقطار الواقعة تحت الاحتلال. [2]

يذكر لنا ثلة من المصلحين الجزائريين في النصف الأول من القرن العشرين حينما تغيرت السياسة الفرنسية وفتحت الأبواب أمام النشاطات السياسية والجمعوية مثل: أبو القاسم الحفناوي والشيخ عبد الحكيم بن سامية وعمر راسم دون أن ننسى نادي الترقي ودوره في هذه الفترة ابعرج الحديث عغن فرحات عباس فقال أنه انحرف في بداية نضاله عن المنهاج الصحيح فأنكر وجود أمة جزائرية وامن بفرنسا "فرنسا هي أنا" إلا أنه كما قال المدني عندما تحين ساعة الحق سيجد هذا الأجر في الطريق المستقيم، كمما أفرد في مذكراته جانبا من الحديث عن نجم شمال افريقيا الذي رأى أنها

---

[1]- المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 156.

[2]- المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 11 وما بعدها.

حركة طاهرة وأرضية صحيحة لفكر المغرب العربي الكبير بالاضافة إلى حديثه عن ميصالي الحاج فمجال وصال في الحديث في سيرة الرجل السياسية بطش الإدارة الفرنسية والذي كان يعمل فكرا ثوريا متئنيا فيقول أحمد توفيق المدني أنه بعد ثورة 1954 والتي نجحت وأخذت الجزائر استقلالها بعد 7 سنوات فقط، ذهب ميصالي الحاج وبقي الرجال الصادقون المجاهدون تتلو طبقة منهم طبقة إلى اليوم وإلى الأبد.

ما يمر هذا الجزء من مذكرات المدني هو ذكر بعض مؤلفاته مثل كتاب تقويم المنصور الذي أصدر سنة 1926 والذي فيه بحوثا عن المدينة العربية والعالم الإسلامي والذي قال تم لحجير تقويم المنصور بقرار من موريس فيوليت في 8 فيفري 1926 ثم أعيد نشره في جزءه الخامس ونال فيه جائزة تقويم المنصورة ثم يتحدث عن فترة 8 ماي 1945 ومقاله عنها وما أعقب هذه الفترة من أحداث ومن خلال حديثه يتبين أنها كانت مبادرة للثورة وأرضية للفاتح من نوفمبر 1954، على العموم فإما يميز مذكراته هي الوثائق الأرشيفية النادرة خاصة الصور منها. [1]

– كتاب رد أديب على حملة أكاذيب:

هذا الكتاب هو عبارة عن مؤلف يستعرض فيها الأدلة الدامغة التي تدحض التهمة التي نسبت إليه ردا على كتاب التحريف والتزييف الذي اتهم فيه المدني أنه لم يكن من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ولا من محرري مجلة الشهاب إلى غير ذلك من التهم وهو ينقسم إلى أربعة أقسام:

- **القسم الأول**: يتكلم فيه عن جمعية العلماء المسلمين ودوره فيها.
- **القسم الثاني**: فيه حديث مطول عن حياة كفاح في جزءه الثاني الذي تعرض إلى النقد اللاذع إلا أن المدني من خلال مؤلفه إنما هو مجهود يبرز فيه الرؤية الشخصية والهدف من ورائه إعادة كتابة التاريخ الجزائري بشكل صحيح، ثم يذكر بعض حواراته مثل حواره مع الشيخ حمزة بكوشة والطاهر فضلاء هذين الأخيرين اللذان قاما بنقد كتابه حياة كفاح، لكن بكيفية بناءه دون تجريح أو استهداف شخصية الرجل بعينه، ثم يورد جزءا للحديث عن الأستاذ محمد صالح رمضان حيث تساءل عن هل ولد المدني "أنا رجل ولدت ثائرا" هذا الجملة التي يوردها في الصفحة الأولى من مذكراته فيقول محمد الصالح رمضان بأن توفيق المدني صور في نفسه وشخصيته التاريخية لا مثيل لها،

[1]– المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 385.

بحكم أن المدني لم يكن رجل سلام وإنما رجل قلم بالإضافة إلى حوارات أخرى مع الشخصيات التي عاصروه مثل: صدوق الجيلاني. [1]

- **القسم الثالث:** وهو مناقشة لكتاب التحريف والتزييف:

أي البحث في مقاصد نشر هذا الكتاب ليس إبراز الحقيقة وإنما التقليل من شأن ومكانة المدني التاريخية سواء في تونس وفي الجزائر بعد سنة 1925 فيذكر قضية أن المدني متجنس بالجنسية الفرنسية وهي في الحقيقة فكرة منقولة عن المؤلف الفرنسي الجنرال هيربي جاكان في كتابه الحرب الخفية في الجزائر بالاضافة إلى طرح فكرة ان المدني أراد أن يترأس الوفد الخارجي بعد اختطاف الطائرة التي كانت تحمل القادة الخمسة في حين أن ما يكشف تآمر أصحاب هذا الكتاب هو ما أورده المدني في كتابه حول عبد الحميد بن باديس والطيب العقبي وهي أنه أراد أن ينال منهم ويدين ذمتهم وضمائرهم الوطنية الشخصية.

- **القسم الرابع:** يدرج المدني في هذا القسم ما قيل عنه من طرف شكيب أرسلان وإبن باديس والابراهيمي ومبارك الميلي فأما ابن باديس فيورد بعض رسائله منها رسالة بعثه له فقال انها قليلة الكلمات عميقة المعاني.

الكتاب يحتوي على مجموعة من الوثائق التي تثبت صحة ما اورده المدني في كتابه حياة كفاح منها وثيقة في الصفحة 160 وهي وثيقة تثبت أنه كان ضمن الوفد الخارجي بمصر وغيرها من الوثائق.[2]

وفاته:

بعد الاستقلال واصل أحمد توفيق المدني مسيرته النضالية الحافلة بالأحداث والموافق التاريخية التي يشهد له فيها العدو قبل الصديق، في تونس والجزائر والتي تعدت عتبة الثمانين من عمره فبعد أن كان وزيرا للأوقاف تولى بعد الاستقلال منصب السفير منذ 1962 في العديد من البلدان العربية والإسلامية وهي وجه آخر من النضال حيث كان يقدم الصورة الأمثل للجزائر الاستقلال واقترن هذا

---

[1]- المدني، رد أديب على حملة أكاذيب ، المصدر السابق، ص 65 وما بعدها.

[2]- جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية، 1850-1950، ترجمة عمر المعراجي، د ط، منشورات(ANEP)، الجزائر 2007، ص 291 وما بعدها.

العمل الدبلوماسي بنشاط علمي كبير حين واصل الكتابة في التاريخ والمشاركة في مختلف الملتقيات العلمية بالإضافة إلى عضويته في مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 1967. [1]

ولآخر دقيقة من عمره نجده يسترجع الماضي ويقدمها لأجيال الحاضر في شكل مذكراته من جزئها الأول وعمره تجاوز سن السبعين إلى جانب أنه نشط في المركز الوطني للدراسات التاريخية فعطاؤه التاريخي تواصل إلى آخر دقيقة من حياته، ومع مطلع السبعينات بدأت تظهر آثار الإرهاق عليه وهو سفير الجزائر بباكستان. [2]

مع مطلع الثمانينات تأزم وضعه الصحي وفي 1983 تعرض إلى أزمة قلبية حادة إلى أن توفي فجأة صباح الثلاثاء الموافق ل8 أكتوبر 1983 بمسكنه العائلي بالأبيار بالجزائر العاصمة، شيعت جنازته في وسط عائلته وأصدقائه ورفقائه وهذا ما نقلته جريدة الشعب. [3]

---

[1]- بوعلام بلقاسمي وآخرون، المرجع السابق، ص 135.

[2]- هذا ما يذكره نجله محمد اسلام نقلا عن مذكرة عبد القادر خليفي.

[3]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 251.

خلاصة:

من خلال ما تقدم ذكره يتضح لنا:

1- أن أحمد توفيق المدني هو رمز من رموز الحركة الوطنية التونسية والجزائرية حامل راية الفكر والقلم والتي كانت بمثابة انعكاس صادق للقضايا الوطنية وتعبير عن مسار النضال في البلاد المغاربية ، فما يميز أحمد توفيق المدني عن بقية مؤرخي تاريخ الجزائر ممن عاصروه أمثال مبارك الميلي أنه ذو تكوين تونسي الذي انطلق منه في النضال بتونس ضد الاستعمار وهنا نميز خطابه السياسي الداعي لمناهضة الاستعمار مهما تعدت أشكاله.

2- حياة أحمد توفيق المدني زمانيا تعتبر سنة 1925 حدا فاصلا لتواجده بتونس التي احتوت وكونت شخصيته العلمية والسياسية ، والتي كان منشأها الأول الزيتونة أما الجزائر فكانت الموطن الأصل الذي أكد على الروح القومية التي يتحلى بها المدني الداعية إلى إحياء التراث الجزائري ونشر الشعور التاريخي في أوساط الجزائريين والاعتزاز به.

3- إن أعمال المدني نسبيا مقارنة بما أنتجه منشطوا الحركة الإصلاحية الجزائرية وهي أعمال متنوعة تتراوح بين المصنف التاريخي والجغرافي والمصنف الثقافي العام والرواية فهي تنم عن ثقافة واسعة وكذا عن موهبة أدبية ذات تميز استثنائي، كما أن المدني نذر نفسه لكتابة التاريخ الجزائري وتزويد مواطنيه بالمبادئ الأولى للثقافة الجزائرية.

1899-1983: قام المدني بإصدار كتابات أهمها كتاب الجزائر بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر والذي كان حظ الفترة العثمانية منه فصلا واحدا مركزا وشاملا، ثم أعقبه لكتاب عثمان باشا وهو خلاصة مفصلة عن العهد التركي بالجزائر ومقتطفات من دفتر التشريعات ومذكرات نقيب أشراف الجزائر ونبذة عن وصف فاتور دوبارادي وذلك عام 1938 وأكمل نشره وأخيرا كتاب حرب ثلاثة مائة عام بين الجزائر واسبانيا.

لكن إذا ما قمنا بدراسة متأنية لما كتبه المدني نجد وما كتب فيه: أن هناك نوعان صنف من يسهب في التنويه بشخصيته ومجهوده الفكري ويصنفه ضمن مشاهير الوطن العربي، في حين نجد صنف آخر حين يتكلم عنه بأخذه بنوع من الحذر بحكم أن صفة "الأنا" نجدها تطغى على حديثه وكلامه باعتباره مصدرا من المصادر المغاربية على وجه العموم والجزائرية على وجه الخصوص، وهذا ما نلاحظه في مذكراته حياة كفاح بأجزائه الثلاثة.

المبحث الثاني

قضية الاستعمار في المغرب العربي

تمهيد

1 – نظرة أحمد توفيق المدني للاستعمار

2 – موقف المدني من الاستعمار

أ – الجزائر

ب– تونس

ج – المغرب الأقصى

د – ليبيا

خلاصة

من بين القضايا التي تطرق إليها أحمد توفيق المدني قضية الاستعمار الموجه إلى منطقة المغرب العربي[1] التي خضعت للهيمنة والسيطرة الاستعمارية، ونخص بالذكر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ليبيا) هذه الأقطار إشتركت في نفس المأساة الاستعمارية، التي تهدف إلى الهيمنة الاقتصادية والسياسية وإنتهاك لسيادة دولة على دولة أخرى وغالبا ما تكون الدولة الهيمنة متطورة في جميع المجالات خاصة الجانب العسكري والتكنولوجي.[2]

وعلى العموم فهذه الحركة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اشتدت النزعة الاستعمارية في شكلها العسكري بدرجة واسعة، ففي مدة أقل من قرن شكلت نسبة المستعمرات 80% وهذا راجع لعدة أسباب:

- التحولات التي شهدتها القارة الأوروبية ونقصد هنا النهضة الاقتصادية وأثرها على الجانب الصناعي أدت بها إلى ضرورة البحث على أسواق خارجية لاستثمار رؤوس الأموال والبحث على المصادر الأولية الخام.
- الحركة الاستعمارية حركتها الروح الصليبية فجاء هذا العنصر كمبرر للغزو الاستعماري إلى جانب الادعاء أن الاستعمار يحمل رسالة حضارية وثقافية فالحضارة هي مللك أوربا؟ ! وهي المسؤولة عن نشرها. [3]

اتسام الاستعمار بالطابع المادي الذي يبحث عن المنفعة الاقتصادية وفق أساليب متعددة، فإذا كان الاستعمار القديم هو صراع على الأرض واستغلالها فإن الاستعمار في صورته الحديثة استعمار صناعي. [4]

أما منطقة المغرب العربي فقد وجهت ضدها حركة استعمارية شديدة نشطتها كل من فرنسا وإيطاليا، تهدف إلى طمس معالم الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي للمغاربة ومن بين ممثلي هذه الحركة نجد لفجسون وبركك الذي ادعوا أنهم أدخلوها إلى الحضارة وهذا ما يعرف بإشكالية الهوية،

---

[1] – أنظر الملحق رقم 4، ص 129.

[2]– يحي بوعزيز، الإستعمار الأروبي الحديث في افريقيا وآسيا وجزر المحيطة، د.ط، د.م.ج الجزائر، 1986، ص 8 وما بعدها.

[3]– الهادي بكوش الإستعمار والمقاومة بين الأمس واليوم، أعمال الملتقى الدولي حول الإستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، ط.خ، الجزائر، 2007، ص 32.

[4]– جمال حمدان، استراتيجية الإستعمار والتحرير، ط1، دار الشروق، مصر، 1983، ص 105.

اقتسمت المنطقة إلى: الجزائر وتونس والمغرب الأقصى باستثناء المنطقة الشمالية منه تحت السيطرة الاسبانية، أما ليبيا فهي مستعمرة ايطالية[1].

فخضوع منطقة المغرب للاستعمار يدخل في إطار السياسة الاستعمارية الكبرى، وعلى هذا الخصوص جاء مؤتمر برلين 1874 الذي أقر مناطق النفوذ لكل دولة منها ماعدا الجزائر التي سبق وأن وقعت في يد الاحتلال الفرنسي 1830، اما تونس التي فرضت عليها الحماية الفرنسية سنة 1881 إلى جانب المغرب الأقصى سنة 1912 أما ليبيا فهي مستعمرة ايطالية منذ 1911 كذلك[2].

– طبيعة الاستعمار في المنطقة:

إن الاستعمار في بلاد المغرب العربي خصوصا الفرنسي منه يتميز بطبيعة خاصة، سواء كان في تونس أو الجزائر والمغرب الأقصى حيث ارتكزت السياسة الاستعمارية على المساس بهويتهم وطمس المبادئ الشخصية العربية الإسلامية[3] ومن جهة أخرى نجد أن الدور الذي لعبه الاستيطان في التركيبة الاجتماعية فقد كان مجالا للعمل لمجموع كبير من سكان الدول الاستعمارية وبشكل أوسع عملت على استثمار رؤوس الأموال خارج فرنسا. [4] وبحكم أن الجانب الصناعي هو العامل الأساسي والمحوري لكل سياسة استعمارية مرتبطة بشكل كبير على ما تقدمه أراضي مستعمراتها. [5]

إذن فالمد الاستعماري في مجمله ولدى جميع الدول الاستعمارية يرتكز على خلفية ايديولوجية تخفي أساليبه العدوانية، ففرنسا ادعت حماية بمبادئ حقوق الإنسان والمواطن، وإيطاليا بحجة إحياء مجد روما القديم، وباشرت فرنسا سياستها الاستعمارية في المغرب العربي مناقضة بذلك مبادئها وهذا إذا ما تعلق الأمر بالشعوب غير شعبها، إذن فالاستعمار سواء في بلاد المغرب العربي أو با قي

---

[1]– يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 22.

[2]–المرجع نفسه، ص 25.

[3]– أمحمد مالكي، الحركات الوطنية والإستعمار في المغرب العربي، ط1، م، د وع، لبنان، 1993، ص 155.

[4]– عبد المالك خلق الله التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي –المغرب، فلسطين، الليج العربي، دراسة تاريخية مقارنة، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1983، ص 15.

[5]– أحمد رمزي، الإستعمار الفرنسي في شمال افريقيا، د ط، المطبعة النموذجية، مصر، د س، ص 43.

الأقطار المستعمرة هو جريمة في حق الانسانية هدفه السيطرة والاستيلاء على خيرات هذه الشعوب، ففي النهاية هو حرب بلا شرف. [1]

أ- الاستعمار في الجزائر:

إن قضية احتلال الجزائر تدخل ضمن المخططات الاستعمارية تجاه المغرب العربي الكبير أسبابها ودوافعها تختلف فمها مباشرة وغير مباشرة، فالمباشرة تمثلت في حادثة المروحة التي اتخذت منها فرنسا ذريعة لإعلان الحرب على الجزائر واعتبرتها من سببا مهما ا لتبرير احتلالها لا غير وإقناعا لرأي العام الفرنسي وحتى العالمي منه[2].

أما الأسباب غير المباشرة فتندرج ضمن الدوافع التي اتبعتها الحركة الاستعمارية، سواء منها الاقتصادية أو الاجتماعية والدينية خصوصا، فسقوط الجزائر تحت يد الإحتلال الفرنسي 1830 كان أمرا مدروسا لأن كل المؤشرات بينت ذلك، وما تؤكده المصادر التاريخية خاصة حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرأة، أن الحملة الفرنسية على الجزائر بقدر ما كانت حملة عسكرية انتقامية لشرف فرنسا كما هو مزعوم بقدر ما كانت حملة تنصيرية عبرت عن الحقد الدفين إتجاه الجزائر، فزودت بالقساوسة ورجال الدين، والجغرافيين منهم كما أنهم يؤكدون أن السلطة الجزائرية كانت على دراية وعلم بوقوع الحملة ولم تتخذ التدابير اللازمة لذلك[3].

فبمجرد إستيلاء فرنسا على الجزائر بادرت السلطة الاستعمارية إلى إعلان أن الجزائر جزء طبيعي من فرنسا مستدلة بذلك على أنه قديما كان المغرب العربي متصلا بالشاطئ الجنوبي الفرنسي في حدود سلسلة جبلية واحدة. [4] على هذا الأساس إحتلت الجزائر بالنسبة لفرنسا مكانة هامة من بين مستعمراتها، وهذا ما تبينه لاحقا السياسة المنتهجة من طرف إدارة الإحتلال لتثبيت دعائمه،

---

[1]- محمد العربي ولد خليفة، من مركب الذئب إلى تبين الجريمة، أعمال الملتقى الوطني حول الإستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، ط، خ، الجزائر، 2007، ص 159.

[2]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في الحديث والقديم، ج3، د ط، مكتبة النهضة العربية، الجزائر، 1974، ص 271.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تع محمد العربي الزبيري، منشورات سلسلة التراث، الجزائر، 2006، ص 152.

[4]- بن يوسف التلمساني، التوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870، أطروحة دكتوراه، اشراف يوسف مناصرية، جامعة الجزائر2، 2004 /2005، ص 31 (مرقونة).

وذلك بتفضيل المستوطن اللاأوروبي على الفرد الجزائري وهي في الحقيقة سياسة مست الأرض والفرد.[1]

دون أن ننسى أن هذه السياسة جوبهت على مدى قرن وأثنين وثلاثين سنة بمقاومة شديدة من طرف الشعب الجزائري، حيث توزعت على جبهات مختلفة من القطر الجزائري منها مقاومات منظمة وغير منظمة. [2]

ب- الاستعمار في تونس (الحماية) 1881:

إن خضوع تونس للحماية الفرنسية في 12 ماي 1881 تندرج ضمن التوسعات الفرنسية الاستعمارية وكذلك في ظل الاستراتيجية العامة الموجهة إلى منطقة المغرب العربي فهي بوابة المغرب العربي من الجهة الشرقية، ونتيجة لظروف الحتمية ألحقت فرنسا تونس ضمن قانون الحماية بدون قيد أو شرط، لأن الرأي العام لم يكن موافقا على الاحتلال العسكري دون أن ننسى مخاوف فرنسا من إيطاليا التي كانت تخشى من ردود فعلها فكان من الإمكان أن تنساق في حلف ثلاثي[3]، فيزيد ذلك من عزلة فرنسا سياسيا فهي حاولت بشكل أو بآخر أن تثبت للدول الأوروبية أن فرض الحماية على تونس لن يمس بمصالحهم الاقتصادية في المنطلقة في إطار الإتفاقيات المبرمة مع الباي سابقا بمعنى أن فرنسا ستكون راعبة مشرفة ومراقبة في آن واحد على مصالحهم. [4]

والملاحظ أن السبب الرئيسي والمباشر لفرض الحماية على تونس هي تلك المناوشات الحدودية بين القبيلة التونسية والجزائرية والتي اعتبرتها كذريعة، مفادها أن فرنسا تقف إلى الجانب الجزائري ومن الطبيعي عليها حمايتها، ولضرب لحمة المغرب العربي انطلق الجيش الفرنسي من الجزائر، وهنا يتعارض مفهوم الحماية في مضمونه العام مع ما طبق في تونس. [5]

---

[1]- شارل روبار أجيرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871-1919، تع حاج مسعود، أبكلي، ط خ، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 240 وما بعدها.

[2]- عمار حمداني، حقيقة غزو الجزائر، تر: لحسن زغدان، منشورات ثالة، الجزائر، 2008، ص 277

[3]- الحلف الثلاثي: هو الحلف الذي يجمع بين النمسا وألمانيا، وروسيا تحت اشراف بسماركـ، للمزيد أنظر: أحمد القصاب، مرجع سابق، ص 12.

[4]- أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر، 1881-1956، تع حمادي الساحلي، الشركة التونسية، تونس 1986، ص 11.

[5]- الهادي بوكش، شهادات من الإستعمار في تونس، الجزائر، المغرب، د ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الفجزائر، 2013، ص 62.

نتيجة دخول تونس في ظل الاستعمار قام الباي وحاشيته بالإستسلام وهذا للحفاظ على إمتيازاته ونفوذه مما أدى إلى التعاون الوثيق مع إدارة الإحتلال، أما الشعب التونسي فقد مثل صورة من صور المقاومة سواء بالأسلوب الشعبي العفوي أو المنظم[1]، فجانبها المنظم مثلته الحركة الوطنية التونسية ممثلة في نشاط الحزب الدستوري الحر الذي قاده عبد العزيز الثعالبي حيث برز كقائد شعبي التفت حوله النخبة المغاربية خاصة من المثقفين الجزائريين والجماهير وهو الذي لم يدع أي منبر إلا وعبّر من خلاله عن مشاغل أمته منددا بسياسة المستعمر، ونذكر هنا خطاباته في المقالات الصحفية التي تميزت بقدراته الخطابية النادرة. [2]

ج- الاستعمار الفرنسي في المغرب الأقصى 1912:

ظل المغرب الأقصى طوال تاريخه بمنأى عن التحرشات الخارجية فلم تسيطر عليه أي قوة بالرغم من أنه الجزء المتمم للمغرب العربي إلا أن فرنسا بعدما إنتهت من فرض سيطرتها على تونس أخذت تمهد الطريق للسيطرة على المغرب الأقصى، هذه المنطقة التي كانت مجال للتنافس الاستعماري بين انجلترا، ألمانيا، اسبانيا، إيطاليا بسبب تعارض المصالح، كان منطلقها مؤتمر مدريد 1880 وهو المؤتمر الذي جاء بقرارات لصالح فرنسا[3]، ومع الوقت ستزداد المصالح الأوروبية في المغرب الأقصى وسيظهر ذلك في السنوات الأولى من القرن العشرين إلى غاية فرض الحماية المشتركة بين فرنسا واسبانيا[4].

فبعد عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906 والأزمة التي شهدها المغرب سنة 1904 تم تسوية الأوضاع بين الدول الكبرى وأعلنت فرنسا الحماية سنة 1912 بقيادة الجنرال مونيه في عهد المولى عبد الحفيظ والتي جوبهت في أن واحد بمقاومة عنيفة من أهالي المغرب الأقصى خاصة أهل مدينة فاس[5].

---

[1] – الطاهر عبد الله الحركة التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة، 1830-1956، ط 2، دار المعارف، تونس، 2013، ص 62.

[2]– عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تر: سامي الجندي، ط1، دار القدس، لبنان، 1925، ص 16

[3] – جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، د ن، مطبوعات المكتب الجامعي الحديث، مصر 1999، ص 256.

[4] – عبد الهادي التازي، الحماية الفرنسية بدايتها ونهايتها، حسب إفادات معاصرة، ط1، دار الرشاد الحديثة، المغرب 1980، . ص 21.

[5] – شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي في العصر الحديث، ط1، مكتبة انجلو، مصر، 1988، ص 372.

د- الاستعمار الايطالي في ليبيا 1911:

تعرضت ليبيا إلى الهجمة الاستعمارية فكانت محل أطماع إيطاليا خاصة بعد تحقيق وحدتها دون أن ننسى أن احتلال فرنسا لتونس كان له أثر عميق على إيطاليا لأنها استهدفت مصالحها في البحر الأبيض المتوسط فكان هذا العامل المحرك لتوجه أنظار إيطاليا نحو ليبيا دون أن ننسى أن التقارب بين السياسة الفرنسية وانجليزية واتفاقهما على تعاون كل منهما على ما يتعلق بنشاط إيطاليا في المنطقة، وهكذا مهدت إيطاليا الرأي العام الدولي للتدخل في ليبيا[1]، وعمدت إيطاليا في استعمارها وكأسلوب لتوسيع حركتها إلى محو شخصية البلاد واعتبرتها إقليما رابعا مكملا للأراضي الايطالية حيث حولتها إلى مستعمرة استيطانية للآلاف من المهاجرين الايطاليين[2].

وعملت على بث التفرقة بين الأهالي والأتراك المساندين لهم عن طريق المنشورات، واستمرت إيطاليا في محاولاتها الرامية لتأكيد مظاهر النفوذ خاصة في ليبيا الغرب وهنا لعبت الصحافة دورا كبيرا عن طريق المقالات التي نشرت والتي كانت تدعو إلى ضرورة الاحتلال مقللة بذلك من أهمية إدارة العثمانيين وتواجدهم، إلى جانب الادعاء أن أهل ليبيا ليس لهم المقدرة الكافية على تسير شؤونهم لهذا توجب تدخل إيطاليا لإحلال الأمن والسلام[3].

وهكذا أدى التنافس الاستعماري إلى وقوع ليبيا تحت تأثير الاحتلال الإيطالي، لكن الليبيين لم يتقبلوا بنود المعاهدة وجوبهت بمقاومة من طرف القيادات الوطنية الليبية، حيث عقدوا اجتماعات متواصلة لدراسة الموقف واتخاذ التدابير حيال الأمر وأخذوا قرارا باستقلال ليبيا وإنشاء حكومة وطنية برئاسة الشيخ سليمان عبد الله الباروني[4].

إذن على هذا الأساس تم تقسيم منطقة المغرب العربي بين فرنسا وإيطاليا، ففرنسا كان حضها كبيرا إنما قورنت مع إيطاليا التي اكتفت بليبيا فقط، والشيء الملاحظ هو ذلك الاختلاف بين

---

[1] – جلال يحي المغرب العربي الكبير في الفترة المعاصرة وحركة التحرير والاستقلال، ج1، ط1، دار القومية، مصر 1992، ص 869.

[2] – هدى بنت محمد عبده أحمد عثمان التنافس الإستعماري بين بريطانيا وإيطاليا في منطقتي شرق إفريقيا 1935- 1945، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراق يوسف بن علي رابح الثقفي، جامعة أم القرى 2004، 2005، ص 445 (غير منشورة).

[3] – إبراهيم فتحي عميش، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، ج1، ط1، برنيق للطباعة، د ب، 2008، ص 46.

[4] – علي محمد الصلابي ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، ج1، ط1، مكتبة التابعين، مصر، 2001، ص 397.

الدول الاستعمارية من حيث طبيعة تواجدها في منطقة المغرب العربي، فمن هذا المنظور يمكن ان نفهم السياسية الاستعمارية خاصة الفرنسية منها في مستعمراتها وفي علاقتها بالمغرب العربي على وجه التحديد، فايدولوجيا الاحتلال التي أطرت وحكمت نشاط فرنسا على امتداد الحقبة الاستعمارية قد يتعذر أن ندرك أصولها ومنطلقاتها بمعزل عن الوضع الأوروبي العام المعز لها، هذا ما سيوصلنا إلى إدراك طبيعة الأساليب التي تمكن المستعمر من تأكيد وجوده وبالتالي الدوافع الحقيقية التي أقرت وجود الاحتلال والتي تمثلت في:

- التقليل من مكانة الإسلام ودوره في صهر مكونات المجتمعات المغاربية.
- الحكم على المغاربة بالعقم السياسي والعجز في تأسيس دولة قائمة بذاتها على أسس اجتماعية وحضارية بمعنى مدى مصداقية الأحكام القائلة والقاضية بفضاوية المغاربة وميلهم إلى التنافر والتمرد وقابلية المنطقة للاستعمار.
- التشكيك في الوحدة التاريخية للمنطقة خاصة الاجتماعية منها وهي الإستراتيجية الاستعمارية التي اتخذت كأداة لتعميق التصدع وتفكيك الوحدة الوطنية لبلدان المغرب العربي[1].

1- نظرة أحمد توفيق المدني للاستعمار:

من خلال قراءة متأنية لمؤلفات المتنوعة لكتابات والمقالات الصحفية لتوفبق المدني التي في حقيقة الأمر تعبير صادق على الخطاب السياسي المناهض للاستعمار بمختلف أوجهه ومظاهره فهو لا يفرق بين الحماية والوصاية والانتداب ولا حتى التواجد العسكري، فالهدف والسياسة واحدة والغرض منه السيطرة والاستغلال، ففي نظره هو انتهاك لحرية الآخر، ولا نقصد هنا الفرد فقط بل حتى الاعتداء على الأرض[2].

والملاحظ أن فكر توفيق المدني مبني على قضية محورية وهي نقد الفكر الاستعماري الذي كتبه العسكريون منهم على وجه الخصوص، هذا الفكر الذي جاء لتمزيق الانتماءات العرقية، ونفي الانتماء الحضاري والتاريخي للمغرب العربي، وبالتالي فأن المستعمر جاء لحمل الرسالة الحضارية إلى شعوب المغرب العربي.

---

[1] – أمحمد مالكي، المرجع السابق، ص 120.

[2] –المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 402 ومابعدها.

وحاولت المدرسة التاريخية الغربية التأثير في الواقع الاجتماعي ومدى تقبله للوجود الاستعماري، فالمدني عند حديثه عن قضية الاستعمار يدعو إلى ضرورة غرس فكرة الوطن والسيادة بأبعادها التاريخية في أذهان أبناء الوطن بمختلف شرائحهم. [1]

إن القضايا التي تناولتها هذه المدرسة بعيدة عن فكر وهوية الشعب المغاربي ففكرة الوطن لا تتناسب مع ما طرحه المؤرخون الغربيون خاصة الفرنسيون منهم، لأن المغرب العربي على حد قول المدني من حيث إرثه التاريخي المليئ بالأحكام المسبقة في تحريف تاريخ المنطقة، رغم أن بعض الكتابات لها قيمتها لا تزال قائمة وهي مصدر مهم لكتابة التاريخ خاصة لهذه المنطقة، من لأنها تعطينا نظرة واقعية ورؤية واضحة وموضوعية عن تاريخ المنطقة، والقراءة المتمعنة تحيلنا إلى معرفة الحركة الاستعمارية التي تجعلنا نفهم أرضية المشروع الإحتلالي الذي طال الجزائر أولا في 1830 وإمتداده إلى تونس 1881 والمغرب الأقصى 1912 وليبيا 1911، كما توصلنا للتعرف على الإجابة لماذا تبنى المدني فكرة مناقضة الاستعمار وضرورة محاربته بمختلف الوسائل؟ فهو يقف ندا لند أمام زعماء الفكر الاستعماري مثل "جيروم كاركوبينو" من خلال مؤلفه "الجغرافية من حيث الحدود" حيث يتكلم عن المنطقة جغرافيا وأثرها في طبيعة الفرد وحتى "أرنيست فليكس قوتيه" من خلال دراسته للجنس البربري هو بطريقة ما يعكس الخلفية التي حكمت الكتابات الاستعمارية في تاريخ المغرب أما الأمريكي "تشارلز غالفر" من خلال مؤلفه "الولايات المتحدة الأمريكية وشمال إفريقيا" الذي صدر 1963 أكد فيه أن منطقة المغرب العربي ليست من المناطق التي تنتج غزارة الأفكار الأصلية. [2]

ومن خلال طرح المدني لقضايا اقليمه المغاربي وعندما يتعرض لقضية الاستعمار فإنه يتحدث بتلك الروح الناقدة والنزعة والأسلوب القومي، فجعل منها محورا لكتاباته وبحكم أن أسلوب وطبيعة الاستعمار يختلف في المنطقة فهو يتكلم بنظرة واقعية ويجعل تلك القطيعة بين الطرح التاريخي الغربي وطرحه الذي يتبنى فكرة أن الاستعمار وإن تعددت أوجهه هو عملة واحدة، وما يؤكد هذه النزعة الثورية هو ما استفتح الحديث بها في مذكراته «... أينما تكون الثورة أكون...» [3] فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الروح الرافضة لأي سلطة خارجية استبدادية وليس تعبيرا عن نضاله في

---

[1]–محمد غانم، "براديغما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي–أحمد توفيق المدني نموذجا" مجلة العصور الجديدة ع3–9 ع خاص، وهران، 2011–2012، ص 190.

[2]–أحمد مالكي، الحركات الوطنية والإستعمار في المغرب اللعربي، المرجع السابق، ص 111.

[3]– المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 12.

الجزائر فقط وإنما نجده منذ نعومة أظافره يكرس هذه الفكرة وهذا راجع إلى البيئة التي نشأ فيها، ففي تونس بدأت تظهر الملامح الأولى المناهضة للاستعمار وتواجده ناهيك عن المرجعية التاريخية التي جعلت عائلته تهاجر 1871.

من الجزائر إلى تونس حيث أصبح المدني وعائلته ضدا الهيئة الاستعمارية ومناهضين لها، ومواقف الرجل تظهر أكثر من خلال مواقفه الصريحة التي نجدها في البداية في الصحف التونسية كالمؤيد "اللواء" و"العروى الوثقى" أين تحدث عن قضايا السياسة وحال الوطن ويذكر عمر بن قينة بأن الرجل تحلى بشخصية مميزه وتحررية وعصامية نادرة[1] بمشاركته في حادثة الزلاج المشهورة التي هي أكبر دليل على التمسك بالهوية الوطنية وعلى إثرها دخل السجن 1915، وهناك زاد موقفه اتجاه السلطة الاستعمارية، ثم أننا نجد هذه الفكرة تبلورت أكثر عندما أطر نشاطه في الحزب الدستوري الحر بعد الحرب العالمية الأولى وبعد عودته إلى الجزائر واضطلاعه على أحوالها والواقع الاستعماري المغاير، حيث زاد إيمانه بقضية التحرر وتبلور نشاطه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم إيمانه بثورة 1954، فمن الجانب العملي تبين أن أحمد توفيق المدني متمرد على جمود وسطه، توفيقي في سلوكه. [2]

أما من خلال مؤلفاته نستنتج العديد من المعاني التي تبرر نظرة المدني للاستعمار على هذا الشكل، فلا نجد تلك النزعة الدينية في معالجته للواقع الاستعماري فهو يخالف معاصريه من خلال الطرح التاريخي للقضية وينزع تلك الحدود الزمانية التي وضعتها المدرسة التاريخية الغربية ويذهب بعيدا في حديثه من خلال مؤلفه حرب الثلاثة مائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1442-1792 وكذا مؤلفه تقويم المنصور والتي استعرض من خلالها وصفا لبلاد المغرب من حيث الجغرافيا الطبيعية والبشرية وكذا كلامه عن الحياة العلمية والأدبية. [3]

ومن خلال هذا نستنتج ان حديث المدني جاء رداعلى مؤلف "غوتيه" قائلا أن الاستعمار هو من غيب الحضارة في المنطقة وجعلها حلقة مفرغة، وهو أيضا رد صريح عما قام به "لوي برتران" عضو المجمع العلمي الفرنسي آنذاك الذي أراد إثبات لاتينية بلاد المغرب، أما محمد قنناش يؤكد أن

---

[1]-محمد بن قينة، أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي، موقع www.qwudom.org

[2]-محمد قناش، المصدرالسابق ، ص 149.

[3]-محمد الفاضل بن عاشور، "على هامش قرطجنة أربعة عصور" الفتح الإسلامي الأول لإفريقية"، م شهاب ،ع 121، 10 نوفمبر، 1927، ص 08.

مؤلفات المدني هي شعلة من الوطنية، خاصة كتاب الجزائر الذي يعتبر بطاقة تعريفية للجزائر في خضم النكبة الاستعمارية، [1] والدراسة المعمقة لمؤلف مذكرات أحمد شريف الزهار تبين لنا تلك النقطة المهمة وهي فترة الحكم العثماني في الجزائر التي قدمها المدني بأكثر واقعية وهي نفس الفترة التي جعلت منها المدرسة التاريخية الفرنسية أرضية وقاعدة أساسية بمبررات التواجد الاستعماري وهذا بإلحاق وإلصاق التهم الزائفة بهذا العهد وتصويره بالتخلف الحضاري واللصوصية. [2]

أما المدني فيجعل منها منطلق أساسي لتبين بشاعة الاستعمار الذي لا يمتلك أي صبغة قانونية لا تبرر من الناحية الإنسانية، والجميل في فكر المدني أنه من خلال طرح فكرة مناهضة الاستعمار وموقفه منه يدعو إلى تنشيط حركة التأليف والكتابة حول المنطقة وإعطاء وإبراز الوجه المشرق من التواجد العربي بها، فهو يرمي لايجاد وميلاد الدولة الجزائرية بعيدا عن المزاعم الاستعمارية أما مذكراته فتعتبر خلاصة موقفه اتجاه الاستعمار لأنها كانت مسرحا رصد المدني من خلالها سياسة المستعمرين في الجزائر فقط وإنما في باقي المنطقة المغاربية دون تمييز، فهو بين الفينة والأخرى يؤكد على ضرورة الوقوف ضد الاستعمار في جبهة واحدة وهذا من زاويتين: النضال السياسي والعسكري، وأصدق صورة عن هذا، ما قاله عبد الرحمان الجيلالي عنه: انه المحلل والمعلل لقضايا المغرب العربي. [3]

أو ما أورده السياسي والمناضل عبد الكريم العقون:

كفاحك بـــاطلا خـــالـدا *** عن العرب تحمي حماهم آميــن

فأمعنت في المجد تبغي الخلود *** كأجداد العرب الخـــــالدين [4]

فإذا كانت الجهات الاستعمارية تهمل تاريخ المغرب القديم، فإن توفيق المدني أراد إبراز هذا التاريخ وإخراجه إلى الوجود أي من دائرة العقم الحضاري، فكانت نقطة مهمة في مناهضة الاستعمار وهي أحد الزوايا التي يمكن من خلالها دراسة مواقف الرجل ضد الاستعمار. [5]

---

[1]– محمد قنانش، المصدر السابق، ص 144.

[2] – Saadedine Ben Cheneb, quelque histories arab moderne de l’Algerie, revue africaine, v 100, S-E, Alger, 1956, P280.

[3]– محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق، ص 08.

[4]– بوضرساية بوعزة، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، ط خ، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 356.

[5]– بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص 354.

2- موقف المدني من الإحتلال في:

أ-في الجزائر:

إن قضية الاحتلال في الجزائر تمثل قضية مركزية في اهتمامات المدني فعند حديثه عنها فإنه يتكلم بتلك الروح النافذة والأسلوب التحرري، وهذا ما نلمسه من خلال مقالاته بالجرائد والمجلات كالشهاب و البصائر الصادرة بالجزائر في النصف الثاني من القرن العشرين فهو منذ حلوله بالجزائر تفاعل مع القضية الوطنية وسجل مواقف جريئة ضد مختلف المشاريع التي كان يطرحها المستعمر من حين لآخر التي رأى أنها في مجملها هي تحطيم للوحدة الوطنية، فكلمته كانت تعبيرا عن الواقع الذي كانت تعيشه الجزائر تحت وطئة الاستعمار منتقدا بذلك الوضع الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري في ظل القوانين الإدارية بمختلف ممارساتها، إذن فالمدني هو معارض للاستعمار وسياسته في الجزائر وهو في كثير من الأحيان جريء في طرحه لهذا الموقف إذ ما وضعناه في سياقه العام سنجد أنه موقف خطير بحكم أن الأفكار التي كان يروج لها هي ضد الإدارة الاستعمارية، مثلا فكرة الفرد الجزائري بالنسبة لفرنسا نجده يؤكد أنه من المنطقي والمعقول أنه مسلم جزائري وكفى، من حيث القانون فهو فرنسي أما من حيث المعاملات الداخلية فهو رعية فرنسي. [1]

فهو يقوم بالواجبات ولا يتمتع بالحقوق فإذا أراد حقوقه فعليه أن يتخلى عن أحواله الشخصية وفي آن واحد فإن المدني يشيد بمدى تمسك الفرد الجزائري بهويته وعدم التجاوب مع الإدارة الفرنسية، [2] وعند حديثه عن مشكلة الاستعمار في الجزائر فإنه يضعها في إطارها العام والمغرب العربي وهذا ما يتبين لنا في إحدى مقالاته في جريدة الشهاب فهو يضفي عليها تسمية "الحق" الذي وجب الدفاع عنه: «...إن العصر عصر قوة، لا عصر حق، فما دمنا نقدر الحق وندافع عنه بصفته حقا لا نعتمد على النظريات والأقوال فسوف لا تلاقي من نضالنا إلا الخيبة والإخفاق».[3]

---

[1]- ميسوم بلقاسم، المرجع السابق، ص 121 وما بعدها.

[2]- المدني كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 328.

[3]- بدون امضاء: "إلى متى" م الشهاب، ج1، م15، الجزائر، فيفري 1939، ص 48.

وفي مقال آخر نشره في سنة 1938 طرح جملة من التساؤلات قدمها للحكومة الفرنسية مضمونها يتمحور حول الأوضاع السياسية وما آل إليه المجتمع في عهد الاحتلال، وهنا لا نقصد الجزائر فقط بل كافة المغرب العربي.[1]

و مناهضة المدني تنتقل في كثير من الأحيان للدعوة للإنتفاضة والثورة مثلما نجده في مقال له بصحيفة البصائر: «إقتلوا الاستعمار أو يقتلكم الاستعمار» فتحدث فيه عن حادثة المروحة ، وهو يدرج كل مرة مصطلح القوة الذي في نظره سير مصير الإنسانية. [2]

ومن خلال مذكراته حياة كفاح في جزئها الثاني أفرد وصفا جميلا للجزائر المستعمرة الفرنسية فأسماها "دار لقمان" التي مالت وجالت فيها فرنسا بسياستها ويربط هذه الأخيرة بفكرة ان فرنسا بلد الديمقراطية والمبادئ الإنسانية والتي أصبحت الأوضاع فيه عهد الحاكم "نشوطان" أصبحت تنبأ بتغير سياسة المستعر في المغرب العربي عموما والجزائر على وجه الخصوص، حيث بدأت تظهر فيها حركة من الهيجان والاستياء وبذلك فقد أبرز المدني الدوافع الحقيقية لتغير الأوضاع بالجزائر والتي قادت الجزائريين للعصيان كما تراه الإدارة الفرنسية، فوصف أنه ما يحصل في الجزائر هو عبث فانتقلت من معقل الجهاد إلى الجزائر البائسة «... وكم كانت أمة الجزائر الحية.... وكان صوتها مدويا مسموعا».[3]

والملاحظ أن المدني عندما يعارض الاستعمار في الجزائر ويندد سياسيته وينقدها في صلبها من خلال:

1. قضية غلق المساجد الذي رأى من هذه السياسة طمسا للإسلام ومعالمه في البلاد فتعطيلها يعني تعطيل للمدارس القرآنية الحرة وهذا بدعوى أنها ليست مدارس قانونية ولا تخضع لحكومة الإحتلال.

---

[1]–عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 240.

[2]–أبو محمد "أقتلوا الإستعمار أو يقتلكم الإستعمار"، م البصائر، العدد 02، الجزائر، أوت 1947، ص 03.

[3]– المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 324.

2. تقيد الصحف بالجزائر بل غلقها وهنا لا يبقى للجزائر كلمة تقال ولا صوت يسمع وهذا ما جاء به قانون 1882، لأن فرنسا كانت تعلم الدور الفعال الذي تعليه الصحف في نشر الأفكار ليس داخليا فقط وإنما خارج الحدود. [1]

3. وفي خطوة انتقادية أخرى لأساليب المراوغة من طرف المستعمر قام المدني بشن حملة شديدة اللهجة من خلال جريدة البصائر، حيث انتقد نتائج الإنتخابات الخاصة بالمجالس النيابية التي أجريت في سنة 1948 من شهر أفريل في عهد الحاكم "نجيلان" والتي وصفها بجملة التدليس والإرهاب[2] ففي رأيه اي فرنسا كانت تتبع سياسة الكيل بمكيالين مكيال وافي ومكيال راجح لمن يؤيدون فرنسا وهم أصحاب النفوذ خاصة اليهود منهم أما مكيال التطفيف والاجحاف في كفة الفرد الجزائري، لذا وجب لم الشمل ضد فرنسا لأن في الضعف تغذية لقوتها وأوجد في ذلك مثلا وهو حزب الشعب الذي أراد زعمائه إبعاد القطر الجزائري بعيد عن الإدارة الفرنسية، فعندما لم يوجد ذلك الإلتفاف حول الحزب تمكنت الإدارة الفرنسية منه وزج بزعيمه ميصالي الحاج في السجن 1937، أما مشروع فيوليت فهو مشروع إستفزازي إغرائي أهدافه لا تعكس محتواه. [3]

و على العموم فإن موقف المدني من قضية الجزائر مستعمرة فرنسية واضح فهو يرى أن الجزائر ليست هي فرنسا ولا قطعة منها فهي بعيدة كل البعد عن فرنسا في لغتها ودينها وعناصرها «فجلبونا بكلمتنا هذه الحقيقة مكشوفة في وضح النهار، وقطعنا الطريق أمام كل منقول بالباطل وأرحنا كل باحث متردد من بحثه...». [4]

ب- في تونس:

تحتل تونس أيضا اهتماما كبيرافي مواقف المدني وهذا لعدة اعتبارات أهمها انها كانت موطن ميلاده وأرضيته الأولى للتجربة السياسية النضالية واحتوت أيضا خطواته ومبادئه المعارضة للاستعمار والتي ظهرت في أكثر من مناسبة «...إنني قدمت من كفاح سياسي مرير...»[5] ويبدوا أن تعلق المدني بتونس هو بقدر دفاعه عنها وتبني قضيتها على أنها قضية حق مغتصب، وموقفه من فرض

---

[1]- المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ، ص 343.

[2]- أبو محمد، "الإنتخابات الجزائرية بين الإرهاب والتدنيس" مجلة البصائر، العدد 32، الجزائر، 19 أفريل 1948، ص 05.

[3]- المدني حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 345 .

[4]- المصدر نفسه، ص 347.

[5]- المصدر نفسه، ص 14.

الحماية على تونس يعادل ما أبداه من معارضة للاستعمار في الجزائر والتي من خلالها دافع عن القضية التونسية، فإذا ما عدنا إلى سنة 1914 سنجد أول صورة جسد المدني من خلاله مدى معارضته للاستعمار بتونس بالرغم من صغر سنه وهذا من خلال حادثة الزلاج التي افتتح من خلالها أن الاستعمار قبل أن يكون استعمار آلة هو استعمار للأذهان والمبادئ والرموز الحضارية في تونس وحتى حادثة الترام الكهربائي1912 أدخلته في إطار العمل السري ضد المستعمر. [1]

ومن مآثر الرجل في خدمة القضية التونسية بعد إبعاده إلى الجزائر هو نشاطه من خلال نادي الترقي وجعله جسرا ومنبرا أسمع من خلاله كلمة وصوت تونس والحق أن المدني لم يتوانى وادخر كل جهده في مجابهة الاستعمار الفرنسي وكل مساعيه تشهد له بتقوية النضال وتوحيد كلمته، وهذا ما يؤكده محمد صالح الجابري «...شخصيته مثلث نموذج المحارب المغربي، الذي ساهم في مجابهة الاستعمار على كل جبهاته فكافح مع التونسيين...»[2] إذن المدني دافع بنفس الحماسة التي دافع بها عن الجزائر، وعلى صعيد الكتابة الصحفية أفرد المدني العديد من المقالات الصحفية حول القضية التونسية وعن أوضاع البلاد في ظل السيطرة الاستعمارية، في أحد أركان مجلة الشهاب وخصوصا في ركن الشمال الإفريقي والتي كانت زاوية عالج وحلل المدني من خلالها الأوضاع بتونس التي كان تجري بها وتتعارض مع نظام الحماية وما نصت عليه معاهدة الباردو 1881 ومن ذلك ما أشار إليه من تجاوزات التي وصفها بالمهزلة ضد أعضاء الحزب الدستوري الحر التي زجت بهم سلطة الاحتلال في معتقل الجنوب التونسي وهذا طمعا في أن يغيروا من مواقفهم السياسية [3].

ومن جهة أخرى فإنه لم يتوانى في إبداء موقفه من الإصلاحات الفرنسية المطبقة بتونس ومن خلالها أكد أن العلاقة الفرنسية التونسية لا تعبر عن قيمة الإصلاحات وأهميتها ونحن نعيش على أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية وهي ليست بالأهمية التي أعطيت لها لأنها لا تعتبر في حقيقة الأمر واقع يتطلب إصلاحات بقدر ما تعتبر سياسة مراوغة لتفريق الشعب التونسي وقياداته.[4]

وهي الفكرة التي عبر عنها المدني من خلال مذكراته عند حديثه عن حادثة المتولي والرديف التي هي من النكبات حيث تمثل نقطة سوداء في تاريخ المستعمر الفرنسي والتي عبر عنها في أن واحد

---

[1]- المدني حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 43.

[2]- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، 1900-1962، الدار العربية، الجزائر، 1983.

[3]- أبو محمد، "في الشمال الافريقي"، م الشهاب، ج7، م11، الجزائر، أكتوبر، 1935، ص 125 وما بعدها.

[4]- أبو محمد، "في الشمال الافريقي"، م البصائر، ع 122، الجزائر، 5 جوان، 1950، ص 7.

عن واقع الحركة العمالية التونسية وما تعانيه من تعسف ومجاوزات من الإدارة الفرنسية، فأبسط مثال هو الإضراب الذي قامت به الجماعة العمالية حيث جوبهت بقوة الرصاص فكانت مجازر شنيعة في حق العمال العزل، ومن خلال نقله وسرده لهذه الأحداث بين المدني على أن تونس في ظل نظام الحماية لم يجعلها أحسن من جارتها الجزائر، إلى جانب المجاعة التي ضربت البلاد مما زاد في نشاط الإدارة الاستعمارية، هذا إلى جانب أن جل المستعمرات ليست الفرنسية فقط بدأت تتأثر بالحركات التحررية لذا أرادت فرنسا أن تكسر هذه الأصوات التي بدأت تطالب بحقوقها «...إنها في هذه المسألة لا تريد أن تعامل معاملة الرقيق في سوق النحاسين ولا تريد أن تستبدل بسيد بل تريد أن تكون أمة حرة تباشر إدارة نفسها...».[1]

المميز حينما نتتبع ونرصد موقف المدني من فرض الحماية على تونس أنه يصرح بموقفه بكل صراحة ولا قيد ولا يستثني في ذلك لا تجاوزات الإدارة الفرنسية ومساراتها ولا حتى نشاط الوطنيين التونسيين فمثلا نجد موقفه من الحزب الدستوري قد تغير في فترة الأربعينات من القرن العشرين عندما ظهر الحزب تحت تسمية جديدة: "الحزب الدستوري الحر" الذي انتقل من تنظيم يعارض الاحتلال يحمل مطالب وطنية واستقلالية محضة إلى حزب يعترف بنظام الحماية واقتصرت مطالبه على مقترح الاستقلال الداخلي وهذا ما يسمى أو يدعي بسياسة الاستقلال عبر مراحل وهذا حسب المدني الذي سيجهض النضال التونسي الذي بدأ منذ فرض الحماية وعبر عن رفضها.[2]

في حين نجد أن المدني في أكثر من مناسبة يوجه الخطاب إلى الأشقاء التونسيين ويدعوهم إلى التكتل والوحدة لتخلص من نظام الحماية لأنه أفضل سبيل ذلك «...ألا فليعلم إخواننا وأصدقائنا في تونس أن أعز أمنية لدينا في هذه الدنيا هي أن ترى الواجهة القومية الوطنية متكونة متينة لتمحوا مظلمة الحماية وتزيل عنها معرة الاحتلال وترفع رأسها بين رؤوس أحرار العالم».[3]

وهي نفس الصورة التي نجدها حيث تصدر اليوم التضامني التونسي الذي انعقد بالعاصمة الجزائرية في 08 جانفي 1952 دعما للقضية التونسية بمناسبة رفعها إلى المجلس الأممي كقضية تحررية تحتاج لتقرير مصيرها[4] وعلى العموم فإن هذه المواقف الجريئة إذ دلت على شيء فإنما تدل على

---

[1]- المدني ،حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 359.

[2]- أبو محمد، "منبر السياسة العالمية"، مجلة البصائر، ع 148، الجزائر، 26 مارس 1951.

[3]- بدون إمضاء "تونس المجاهدة، مجلة البصائر، ع 182، الجزائر، 1 فيفري 1952، ص 2.

[4]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 253،

قومية تونسية المدني المتجدرة فيه والتي شكك فيها الكثيرون على حد قوله وهذا لأنه أبعدته من تونس إلى الجزائر حيث فقد كل حقوقه، وهذا ما أرادت فرنسا استخدامه ضده وحصل أثناء الحرب العالمية الثانية عندما تم الإحصاء الإجباري للخدمة العسكرية للحرب ضد ألمانيا.

ج- في المغرب الأقصى:

تعد القضية المغربية هي الأخرى محورا هاما في كتابات المدني ونضاله ضد التواجد الاستعماري بالمغرب الأقصى فتعاطى مع القضية منذ أن كان بتونس عندما ندد بالحرب التي شنتها فرنسا ضد منطقة الريف فاتخذ موقفا مناوئا للتواجد الاستعماري وبين أن هذا القطر يقسم نفس المأساة المغاربية.[1]

ولم يفوت أي مناسبة للتنديد بالسياسة الاستعمارية في المغرب الأقصى وهذا ما نرصد في مقالات مجلة الشهاب والتي أكدت ان الرجعية الفرنسية انتصرت في المنطقة بسبب ممارساتها القمعية إثر أحداث مكناس والخميسة وهي أحداث دامية زاح على إثرها شرفاء المغرب الأقصى فقط لأنهم رفضوا مشروع الظهير البربري[2] وهي ضربة موجهة لتحطيم الحركة الوطنية المغربية[3] ثم يتساؤل المدني ماذا ستجني فرنسا من سياسة القمع التي لا تمد بنظام الحماية بصلة؟! إذن فالسياسة الاستعمارية لا جدوى منها خاصة الموجهة ضد الحركة الوطنية لأنها أثبتت عقمها وفشلها وفي احتجاجات نظمها قيادات الحركة الوطنية ضد السلطة الفرنسية في مراكش بسبب تحويل مجرى وادي يفكرون منع الاستفادة منه، ماعداالمستوطنين وبالمقارنة مع ردة فعل الإدارة الفرنسية العدواني فإن المطالب لم تخرج عن إطار المطالبة بتطبيق نصوص المعاهدة وطالبوا بتمكين الجباة فوق أرض وطنهم وفي منظور المدني حق مشروع.[4]

ومن خلال مذكراته يؤكد أن موقفه اتجاه هذا القطر بأنه تعبير صادق وإيمانا منه بعدالة القضية المغربية، وعند حديثه عن أبرار هذا الوطن الأحرار في المغرب الشريف إنما هو يتكلم باسم كل

---

[1]- المدني حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 318.

[2]- الظهير البربري: كان مشروع فرنسي ظهر في البلاد المغاربية في 11 ديسمبر 1914، القاضي بفكرة العنصر البربري، في 16 ماي 1930، ظهر القانون من جديد، ونص بأن يخضع سكان المناطق الناطقة بالأمازيغية لأعرافهم، وليس للمحاكم الشرعية الاسلامية، وهذا امتداد للقانون الأول (للمزيد أنظر: عبد القادر خليفي المرجع السابق، ص 254).

[3]- محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 289 وما بعدها.

[4]- دون إمضاء، "في الشمال الافريقي"، ج3، م4، الجزائر، نوفمبر، 1937، ص 421.

الجزائريين وهي الصورة نفسها التي تعبر عن موقفه عند خلع السلطان محمد بن يوسف الخامس والتي عبر عنها بمبادئ لصوصية فرنسا المنافية لمبادئ العدالة وحقوق الإنسان فعبر عن هذا الموقف برسالة صدرت باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجهت إلى الأشقاء المغاربة تحت إمضاء أمينها العام أحمد توفيق المدني.[1]

من جهة أخرى نجد المدني قد نسج علاقات قوية مع زعماء الحركة الوطنية المغربية خاصة زعيم حزب الاستقلال "علال الفاسي" هنا يبرز موقفه الصريح خصوصا وانه خصص مقالا سلط الضوء فيه على الأزمة المغربية 1951 بين الملك محمد يوسف الخامس والإدارة الفرنسية بسبب أن الملك المغربي طالب بإعادة النظر أو تغيير النظام القائم في البلاد واستبداله بنظام مبني على التعاون والصداقة بين الطرفين، وهذا بينه من خلال جريدة البصائر في مقال عنوانه " المأساة" والذي حاول من خلاله أيضاح تجاوزات الإدارة الفرنسية الرامية إلى تغيير موقف الملك والتراجع عن مصلحة الوطن.[2]

هذا الموقف من المدني الذي لم يتراجع عنه طيلة مشاوره النضالي من أجل المغرب الكبير، فمناصرته للملك محمد الخامس أدت إلى اتهامه من طرف العديد وخاصة تلك الحملة الصحفية من بعض الجهات الغربية اتهمته انه قد باع قلمه وهي إتهامات وجهت له من طرف رئيس حزب الشورى "محمد بن الحسن الوزان" وهو أحد المغاربة المدعو التهامي هذا الاتهام الذي طال الأسلوب السياسي للمدني ذهب إلى أبعد من ذلك في كون أن الجريدة قد تم شرائها، وهذه إدعاءات تدل على قو ة كتابات المدني مناصرا بذلك إخوانه المغاربة.[3]

في حين رد المدني مدافعا عن موقفه في أن وقع مقالاته كان محركها الأوضاع السائدة في المغرب الأقصى ومأساتهم كانت مغذية لها وهذا ما أورده في إحدى مقالاته «...إن نخوض حربا استعمارية طاحنة التدخل في خصوصيات الداخلية في الأحزاب... فليعلم إخواننا وأصدقائنا في مشرق الوطن الكبير وفي مغربه انه ليس في هذا الوطن الكبير، من عدو نقاتله إلا النظام الاستعماري».[4]

---

[1]- المدني حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 481.

[2]- أبو محمد، "حول المأساة"، م البصائر، ع 146، الجزائر، 12 مارس 1951، ص 8.

[3]- محمد طالب الإبراهيمي ، أثار البشير الابراهيمي، ج3، ط1، الشركة الوطنية، الجزائر، 1881، ص 285 وما بعدها.

[4]- أبو محمد "في الشمال الافريقي"، م البصائر، ع145، الجزائر، 4 مارس 1951، ص 06.

وعليه فإن الرجل بحكم قدراته على التعامل مع سياسة المستعمر الرامية إلى زرع التفرقة بين منشطي حركة المقاومة السياسية في المغرب وعلى الاتهامات التي وجهت له بضرورة التعاون والتخلي عن التوجهات الإيدولوجية التي تحكم الأحزاب بتعدد تسمياتها وعلى العموم فإن المغرب الأقصى في نظر المدني شأنه شأن كل واحد من مغربنا العربي، دون أن ننسى أنه ساند عبد الكريم الخطابي وأشاد بثورة الريف.[1]

د- **في ليبيا:**

لم يتوانى المدني في مساندة الأشقاء الليبيين والوقوف ضد العدوان الإيطالي الذي لم يفرقه على النظام الاستعماري الفرنسي السائد في المغرب العربي [2] هذا التفاعل مع القضية الليبية بدأ منذ السنوات الأولى من تواجده في تونس فعند قيام الإيطاليين باحتلال مدينة طرابلس الليبية في 29 سبتمبر 1912 ارتفعت لديه درجة الحماسة فقد وصف شعوره: «...لا أزال اذكر ذلك اليوم الرهيب وهو أسوأ يوم في حياتي قلبي يذهب ودمي يفور، وأعصابي توشك أن تتحطم».[3]

وردا على قرار فرض الحماية على ليبيا قام المدني رفقة زملائه بالطواف بالأسواق والممرات والمقاهي ودعوة الناس إلى تقديم يد العون إلى الليبيين والتبرع بالأموال لصالح الهلال الأحمر العثماني حيث تكفل المنجي البنزرتي بتسجيل أسماء المتبرعين وأودعت الأموال التي جمعت عند محمد النيفر[4] وهنا نلاحظ أن المدني استخف بالمخاطر وراح مندفعا صوب الكفاح ولم يميز بين من ما هو ليبي أو تونسي أو مغربي أو جزائري، وعند حلوله بالجزائر بعد نفيه إليها تفاعل مع القضية عن طريق نشر بعض المقالات حولها خاصة عن زعيم ثورتها عمر المختار في الفترة الممتدة 1930 حتى استشهاده حيث نشر عند وفاته مقالا في شهر أكتوبر 1931 أشاد فيه بأمجاد الشهيد تحت عنوان "سيد الشهداء ورأس الأبرار" «...اغتالت يد الطغيان الاستعماري بطلا من خيرة أبطال العرب...جاهد عشرين عاما، ودافع عن بيضة الإسلام وكرامة الوطن ضد الطغاة المستعبدين».[5]

---

[1]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 257.

[2]- المرجع السابق، ص 247.

[3]- المدني حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 36.

[4]- المصدر نفسه، ص 37.

[5]- المدني حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 383.

وبعد الحرب العالمية الثانية ومن خلال جريدة البصائر تندد المدني بسياسة تقسيم ليبيا إلى مناطق أو مجالات حيوية وتساؤل عن هذا المصطلح وما المرجو من وراءه وطالب من مناضلي ليبيا عدم إتباع السياسة الرامية إلى الاستقلال الجزئي، وهنا نقصد تلك الفكرة التي ظهرت والقاضية باستغلال برقة كجزء من القطر الليبي الكبير فاعتبرها المدني سياسة تمزيق للتراب الليبي وهي على حد قوله صيغة أخرى من صيغ السياسة الاستعمارية القاضية بزرع التفرقة، وإيجاد مناطق نفوذ تابعة لها.[1]

[1]– أبو محمد، "منبر السياسة العالمية"، م البصائر، العدد 76، الجزائر، 18 أفريل 1944، ص 4.

خلاصة

من خلال ما تقدم ذكره يتضح لنا :

أن أحمد توفيق المدني مناهض للاستعمار بكل أشكاله وهذا ما نجده في مؤلفاته وخطاباته السياسية ومقالاته الصحفية فإذن هو لا يتفق مع بقية المؤرخين الغربيين عندما يسلطون الضوء على فترة الاستعمار في منطقة المغرب العربي التي خضعت إلى أكبر دولة استعمارية في القرن العشرين إلى جانب ايطاليا هاتين الدولتين قسمتا المنطقة وكانت فرنسا الأكثر نصيبا وحضا من إيطاليا التي اكتفت بليبيا فقط أما فرنسا فقد أخضعت الجزائر بصفة مباشرة من 1830 بينما فرضت الحماية على تونس 1881و المغرب الأقصى 1912، إلا أن المدني عند حديثه عن هذه القضية فإنه يقف موقف المدافع عن هذه المنطقة ويجهض كل المبررات التي أدت إلى الاستعمار، كما أنه يدرجها في إطار نظرة وتفسيرات الآخر لهذا القطر الكبير أو بتعبير أصبح هو يطرح تساؤل حول الأيديولوجية التي تمت معالجة قضية الاستعمار في المنطقة المغاربية بدون استثناء؟ والمدني من خلال مذكراته يذهب إلى أبعد من ذلك فهو يحمل لنا صورة واقعية عن الأوضاع التي كانت تعيشها هذه الأقطار في ظل تصاعد سياسة المستعمر، فالمدني يرد على المزاعم التي تسعى إلى فرض تصور معين عن الجزائر وتاريخها فهو يؤكد على أن مهمة المؤرخ الجزائري في نظره تتمثل في نقد هذا التصور وإيجاد تاريخ وطني مترابط الحلقات ووحدة متكاملة في إطاره تولد الشخصية الجزائرية المغاربية بأبعادها السياسية والثقافية، فالمدني عند حديثه عن الاستعمار في المغرب العربي يجعل منه فترة تاريخية أثرت في تاريخ المنطقة بسبب طول مدته في ظلها يدرج فكرة الحياة الثقافية والتعليمية في ظل المخططات الاستعمارية الرامية لقطع الصلة بين تاريخ المنطقة وهويته العربية الإسلامية، لهذا استوجب ضرورة تفعيل الحركية العلمية عن طريق علماء وأقطاب جامع الزيتونة وغيرها .

المبحث الثالث

قضية الوحدة المغاربية وقضايا الاصلاح

تمهيد

1 – مرجعيات العمل الوحدوي في المغرب العربي

2 – الوحدة المغاربية في منظور أحمد توفيق المدني

3 – القضايا الإصلاحية

خلاصة

شهد المغرب العربي خلال الربع الأول من القرن العشرين تقدم ملحوظ في النشاط السياسي والثقافي أدى إلى تبلور مفهوم الوحدة لدى شعوب المغرب العربي وظهرت خلال هذه المرحلة مفاهيم جديدة كالوطن والأمة والمصير المشترك، إلا أن هذه المفاهيم موجودة تاريخيا وحضاريا في فكر الشعوب المغاربية.

وتعود أصول الوحدة المغاربية والتي جسدتها الشعوب المغاربية واقعيا إلى عهد الدولة الموحدية التي ضمت أقطار المغرب العربي وامتد نفودها إلى الأندلس وظهر التلاحم بين الأفراد والجماعات والتعاون الاقتصادي والاجتماعي وبانهيار دولة الموحدين دخل المغرب العربي مرحلة التفكك السياسي والتمزق والفقر والانحطاط الحضاري في جميع المستويات وظهرت الكيانات السياسية كالزيانيين والحفصيين والمرينيين.

ومنذ ذلك الحين لم تذق الشعوب المغاربية طعم الوحدة ومزقت جسدها الخلافات السياسية، ولما جاء الحكم العثماني أنقذى بلاد المغرب العربي من محنة الاستعمار التي كانت تهدف إلى السيطرة على المنطقة والقضاء على مقوماتها. [1]

لكن مفهوم الوحدة في شعور وفكر الشعوب المغاربية بقي نظريا رغم الإمتداد التاريخي والحضاري المشترك والقواسم الجامعة لوحدة المغرب العربي. إن التحولات السياسية التي شهدها منطقة المغرب العربي أوجدت العديد من المفاهيم جيوسياسية، حيث ظهرت الحركات الوطنية في مطلع القرن 20 والتي بدورها دعت إلى ضرورة ربط أواصر هذه المنطقة في ظل موجة الاستعمار الهادفة إلى القضاء على هوية البلاد المغاربية، وهنا فكرة الوحدة بحكم النضال الواحد ضد المستعمر[2].

و طرحت فكرة الوحدة المغاربية مجددا في منتصف القرن العشرين بقيادة كل من علي باش حامية وعبد العزيز الثعالبي ومحمد لخضر حسين، وخاصة أن شعوب الأقطار المغاربية الثلاث ابتليت بنفس الاستعمار الفرنسي الشنيع فوقفوا متصدين له مدافعين على بلادهم وعروبتهم وتقاليدهم وهناك عوامل ساهمت في بلورة الوحدة المغاربية كالجامعة الإسلامية من طرف الأخوة حامبة لدعاية

---

[1]– حسن ماهون،" البلاد المغاربية بوصفها جماعة متخيلة،" دفاتر مجلة الانسانيات، العدد 4، الجزائر، 2013، ص 150.

[2]– أمحمد مالكي، المرجع السابق، ص 271.

تخليص المغرب العربي من الاستعمار فأسست في برلين النخبة التونسية الجزائرية، وبعد سقوط الدولة العثمانية انتقل العمل من اسطنبول إلى العواصم الأوروبية وهنا نشطت النخب السياسية [1].

إن تبلور النشاط الوطني بين الجزائريين والتونسيين والمغاربة في تنسيق الجهود للدفاع عن قضيتهم داخل المغرب العربي الكبير وفي المهجر مثل فرنسا والمشرق العربي وأوروبا كان من خلال المؤتمرات كمؤتمر القوميات الذي عقد في لوزان 1916 والذي مثل فيه على باشى حامبة[2] القضيتين التونسية والجزائرية في ظل تصاعد وتيرة سياسة التجنيس فطالب المؤتمرون أن يمنح الحكم الاستقلالي الذاتي للبلدان المغاربية على أقل تقدير وهنا ظهرت جريدة التونسي سنة 1907 والتي صداها تجاوز القطر التونسي كانت تصدر باللغة الفرنسية، دون أن ننسى ان السلطات الفرنسية كانت تمنع صدور الصحف إلا إذا أخذت الموافقة من طرفها [3] وفي نفس السياغ ظهرت لجنة استقلال الجزائر وتونس التي شكلها كل من الجزائريين والتونسيين والتي أصدرت مجلة باسم المغرب[4] عبرت بدورها عن نشاط الوطنيين من البلدين وصودرت هذه المجلة سنة 1916 واتهمت بقضايا المغرب العربي [5].

والملاحظ أن كل من عبد العزيز الثعالبي ومحمد باش حامبا كان ذو روح عصرية متطلعين على الثقافة الغربية إلا انهما تمسكا بأصولهما الإسلامية وبالرغم انهما لم يتفقا مع أصحاب الإصلاح والحوار المعتدل امثال حسن قلاتي، وكذا الثعالبي الذي كان يعارض سياستة التقارب مع فرنسا وفي المجال الصحفي يظهر ذلك التعاون بين جريدة الهلال[6] الجزائرية والشبان التونسية، وفي هذا الإطار سعى على باشى حامبه والشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى التنسيق علمي مستوى المقالات التي تصدر

---

[1]– قوي ياغفيل شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، جامعة موريال، فرنسا، 2010/2009، ص 202.

[2]- علي باشا حامبة: 1879–1918: درس بالزيتونة في المدرسة الصادقية والمعاهد الفرنسية، توظف بالعدلية كان من مؤسسي جمعية قدماء الصادقية، عرف بفكرة الإصلاحي، أسس جريدة التونسي 1907، (للمزيد أنظر يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 36).

[3]– يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 80، وما بعدها.

[4]- مجلة المغرب: 1903–1904 من الصحف المغربية التي ظهرت في هذه الفترة والتي فتحت امام النخبة باب المشاركة في تنوير الرأي الإسلامي الجزائري العام، كان ص احب اختيارها P.Fontana، (للمزيد أنظر محمد ناصر الصحف العربية الجزائرية 1847–1939، ص 25)

[5]– يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 85

[6]- الهلال 1906–1907 ظهرت منذ اكتوبر 1906 تحت قيادة الفرنسي vulpiller، كانت تصدر كل ثلاث مرات في الشهر، وهي مزدوجة اللغة أما شعارها ص حيفة مطالب الأهالي الشرعية، (للمزيد أنظر محمد ناصر المرجع السابق، ص 29).

بالجرائد التونسية والجزائرية قصد التعريف بالأوضاع الداخلية في البلدين والتصدي للاستعمار الفرنسي وما يتضح أنه ومن خلال النشاط الإعلامي ظهرت محاولة لعقد مؤتمر يجمع الجزائريين والتونسيين للبحث في القضايا السياسية الاقتصادية، فنشرت جريدة الهلال الصادرة بسكيكدة القانون الداخلي للمؤتمر وأهدافه، أما جريدة المسلم حذت نفس ما قامت به جريدة الهلال[1].

وبرهن هذا المؤتمر مع ظهور جمعيات مثل جمعية العربية وهي جمعية تأسست للدفاع عن قضايا بالمغرب العرب فكان لها دور فعال في وحدة النضال المغاربي ضد الاستعمار التي بقيادة لخضر محمد حسين[2].

وكان لثورة الريف في المغرب التي قادها عبد الكريم الخطابي[3] فكانت ملهمة الشعوب المغاربية ومن هبكل الشعوب المغاربية بأقطارها الثلاثة متضامنة مع هذه الثورة مساهمين بالأموال والأسلحة فنتج عن هذه الثورة مؤتمر عقد في 1924 والذي ضم كل من العمال الجزائريين والمغاربة برئاسة الأمير خالد[4] فكان على علم بالأوضاع الداخلية التي تعيشها المنطقة ففي هذه الفترة تأسست العديد من الجمعيات نذكر منها الرابطة العلمية 1924 والتي تأسست من الطلبة الجزائريين الذين درسوا بالزيتونة وهنا ندرج مساعي أحمد توفيق المدني في الربط بين القطرين ونستشف أن تبنى الفكر الوحدوي ما هو إلا نتيجة تشبعه بالفكر الوحدوي دون أن ننسى التصادم مع السياسة الاستعمارية التي مست الأرض والفرد أعاد إحياء فكرة الوحدة المغاربية ولو كان ذلك في ظروف صعبة جدا [5].

من جهة أخرى فإن الهجرات التي قامت بها العائلات الجزائرية مثل عائلة المدني التي هاجرت إلى اسطنبول مثلت بادرة من البوادر الأولى للتعبير عن حالة المغاربة الذين أجبروا في الدخول في الحرب

---

[1]– قوي باغيل، المرجع السابق، ص 211.

[2]– عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية، ج1، ط خ، دار بوسعادة، الجزائر، ص 24,

[3] - عبد الكريم الخطابي: ولد سنة 1882 التحق بجامعة القرويين وتخرج,سنة 1905، عينته السلطات الإسبانية في مدينة مليلة المحتلة عقدت عدة علافات وثيقة مع الإسبانيين الذين إضطروا للإقامة بهذه المدينة راسل ص حيفة "تيليغراف ديل" وكتب عن أوضاع المغرب والأوضاع العربية الإسلامية للمزيد أنظر قوي باغفيل، المرجع السابق، 110).

[4] - الأمير خالد: هوخالد ابن االهاشمي بن الحاج عبد القادر ولد في 23 فيفري 1875 بدمشق في سنة 1893 أدخله أبوه المدرسة العسكرية سان بيير بباريس تخرج برتبة ملازم سنة 1837 يعتبر من رواد الحركة الوطنية الجزائرية في حركة نجم شمال إفريقيا على وجه الخصوص في سنة 1924 نفته السلطات الإستعمارية إلى سوريا حيث استقر فيها حتى توفي سنة 1936(للمزيد قوي ياغفيل المرجع السابق، ص 112).

[5]– قوي باغفيل، المرجع السابق، ص 271.

ضد الدولة العثمانية إلى جانب حركة إنتقال الوطنيون المغاربة إلى أوروبا خلال فترة الحرب العالمية الأولى، وهنا نذكر نشاط أحمد توفيق المدني، وعبد السلام التيجاني التونسي والشيخ محمود مزيان التلمساني، وقد لعبت كل من جنيف وسويسرا الميدان الفعال لمواصلة النشاط السياسي من أجل تحرير المغرب الكبير وهذا راجع إلى التسهيلات التي منحت من طرف السلطات العثمانية وكذلك السلطات الألمانية والدعم الذي تلقاه المغاربة من بعض عناصر ذات الاتجاه الإسلامي[1].

[1]– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ص 73.

1 – مرجعيات العمل الوحدوي في المغرب العربي

لقد شهدت الأقطار المغاربية منذ الحرب العالمية الأولى البوادر الأولى والفعلية لمفهوم العمل الوحدوي حيث بدأت تتطور في المجتمع المغاربي على إثر التحولات العميقة على المستوى المحلي والدولي وظهور إمكانيات جديدة للعمل السياسي بين الأحزاب السياسية للأقطار المغاربية الثلاثة وهذا كنتيجة للأوضاع المتردية والمزرية التي كانت تعيشها وكذلك النتيجة الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية منذ منتصف القرن 19 التي شهد ظهور نخب سياسة التي دعت إلى العمل السياسي الوطني الموحد والذي كان متعدد الأوجه تجاوز الحدود الوطنية ليشمل رقعة المغرب العربي كله [1]:

أ– جمعية طلبة شمال إفريقيا:

عن أول تكوين وحدوي في المغرب العربي بدأ بجمعية الطلبة التي يختلف المؤرخون حول سنة تأسيسها لكن الأغلب يجمعون على سنة 1919 والتي تأسست تحت اسم ودادية المسلمين لشمال إفريقيا في مدينة الجزائر من طرف طلابها وفي سنة 1921 تغيرا اسمها تحت اسم الجمعية وضمت كل طلبة المغاربة [2] وكانت تهدف إلى جمع شمل المعرب العربي، ويذهب أبو القاسم سعد الله إلى أن هذه الجمعية اهتمت بقضايا الإصلاح حيث تم الاعلان عن تأسيسها في الجريدة الرسمية الفرنسية في 16 أفريل 1919.[3]

أما التكوين المغاربي لها في تونس أسس الشيخ عبد العزيز الثعالبي لأول مرة جمعية الطالبة التونسيين بباريس سنة 1920، وأما في المغرب فإن الجمعيات الطلابية تكونت ابتداء من 1926 متأثرة بثورة الريف حيث تكتلت تحت اسم جمعية طلبة إفريقيا وبالنظر إلى قانونها الأساسي لسنة 1928 فإننا نجدها تهدف إلى ربط أواصر الأقطار الثلاثة فطورت برنامجها عن طريق النادي والمكتبة الخاصين بها بالإضافة إلى إصدار مجلة ناطقة بالعربية والفرنسية إلى جانب القيام بالتجمعات السياسية وقد

---

[1]– قوي باغفيل، المرجع السابق، ص 96.

[2]– مياد رشيد اسهامات جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين في الحركة الوطنية، د ط، دار شطابي، الجزائر، 2013، ص 48.

[3]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945، ج3، د ط، م ب، د،ع، مصر، 1975، ص 113.

عبرت الجمعية عن موقفها من الإدارة الفرنسية خاصة فيما يتعلق بالتجنيس واللغة والتعليم وهي مواقف تتماشى مع عملية الإصلاح والنهضة [1].

النهضة التي لم تظهر ملامحها جليا في هذه الفترة ففي 1930 تم عقد مجلس جمعيتها وتم الإقرار بعدم القبول الطلبة المتجنسين أو حاملين الجنسية الفرنسية من أبناء المغرب العربي في حين ظهر الموقف الفرنسي من ذلك فأنشأت النادي الثقافي للبحر الأبيض المتوسط وهي محاولة من الإدارة الفرنسية لتفكيك الجمعية، والتي عبرت عن مطالبها من خلال المؤتمرات مثل مؤتمر 1931 بالمدرسة الخلدونية بتونس والذي أفضى بتأسيس نادي بباريس وعلى العموم فإن هذه الجمعية كانت اللبنة الأولى للوحدة المغاربية[2].

إن الدارس لقضية الوحدة من خلال مضامينها سواء في منظور أحمد توفيق المدني وهذا ما سنشير إليه لاحقا أو من خلال كتابات ممن أرخوا لهذه القضية يقسمونها زمانيا إلى محطتين.

1. 1939-1952
2. 1952-1962

ب – القضية الوحدوية من 1939–1952:

في هذه الفترة كان أول تعبير عن هذه الفكرة عن طريق تشكيل جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية 1944 حيث تأسست في 18 فيفري 1944 بالقاهرة تحت رئاسة الشيخ الأزهر محمد الأخضر حسين بالإضافة إلى الشيخ فضيل الورتيلاني، والملاحظ أن هيئة من هذا المستوى وفي هذه الفترة ليس بالشيء السهل تحقيقه فضمت هذه الجبهة عدد كبير من المناضلين من جميع أقطار المغرب العربي بجميع تكتلاته[3].

ووضع لهذه الجبهة قانونا أساسيا الذي نص على الاستقلال التام وهي جمعية مستقلة بذاتها وكان لهذه الهيئة دور كبير في التعريف بقضايا المغرب العربي وبمشاكله ونقلها إلى المشرق العربي فكانت

---

[1]– محمد بلقاسم، "وحدة المغرب العربي من خلال قرارات المؤتمر 11 لجمعية الطلبة المسلمين أفارقة تونس"، 1950، م المصادر ع 11، سبتمبر 2005، الجزائر، ص 02.

[2]– محمد العايب، مؤتمر طنجة المغاربي دراسة تحليلية نقدية، د ط، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص 47.

[3]– بوشقيق حياة، "مرجعيات العمل الوحدوي المغاربي المشترك من فترة الحرب العالمية الثانية إلى غاية انعقاد مؤتمر الوحدة 1945- 1958"، "م المجاهد، ع180، نوفمبر 2015، ص 29.

تقوم بنشر المذكرات والبيانات في صحيفة النذير بالقاهرة التي كانت متضامنة مع قضايا الأقطار المغاربة[1].

– مؤتمر المغرب العربي 1947:

بعد الحرب العالمية الثانية توجه نشاط المغاربة إلى مصر فوحدوا الجهود المشتركة لمجابهة السياسة الاستعمارية خاصة بعد تصاعد السياسة الاستعمارية والمجازر التي حصلت في كل من الجزائر والمغرب المناضلون من فكرة التضامن إلى فكرة هيكلة العمل والتنسيق وتوحيد الجهود، فعقدوا مؤتمر في 15 فيفري 1945 برئاسة عبد الرحمن عزام باشا بمقر جمعية الشبان المسلمين وخرج بتوصيات أهمها:

- الإتفاق على غاية واحدة وهي الاستقلال التام.
- العمل على توحيد المنظمات العمالية والثقافية في الأقطار الثلاثة [2]

وقد تدارس المؤتمرون نقطة مهمة جدا وهي تنسيق الأعمال التي تقوم بها المكاتب المغاربية في مصر وربط نشاطها بما يجري في الأقطار المغاربية وعموما فعن المؤتمر يعتبر مقترحا مهما تلاحم المغاربة ضد الاستعمار [3].

– مكتب المغرب العربي 1947:

بعد إنتهاء أشغال المؤتمر سابق الذكر، شرع ممثلوا الحركات الوطنية المغاربية في تنفيذ أهم قرارات والتي كان أهم قرار صدر عنه القرار المتعلق بإنشاء مكتب المغرب العربي، والتحضير الأرضية المناسبة لتوحيد الحركات الوطنية المغاربية بالقاهرة تحت راية واحدة هذه الهيئة الجديدة فقررت نظام مكتبها على ثلاثة أقسام:

1-القسم المغربي: يضم كل من حزب الاستقلال وحزب الإصلاح المغربيين
2-القسم التونسي: وضم الحزب الدستوري الجديد.
3-القسم الجزائري: مثله حركة انتصار الحريات الديموقراطية

---

[1]- محمد العايب، المرجع السابق، ص 48.

[2]- بوشقيق حياة، المرجع السابق، ص 31.

[3]- قوي باغفيل، المرجع السابق، ص 174.

إن ظهور الجامعة العربية 1945 أعطى نفسا والتي بدورها سادت فكرة التحرر في م البلدان العربية والتي كانت من ظمتها منطقة المغرب العربي التي هي في الأساس جزء لا يتجزء منها فكانت الجامعة العربية الإطار المساعد لتنظيم المؤتمر المغاربي في القاهرة ما بين 15 إلى 22 – 1947 وكان الهدف الأساسي من الإعلان عن تأسس هطا المكتب هو تنسيق عمل الحركات الوطنية ولقد كان للمدني دورا مهما في التعريف بقضايا العربي [1].

– لجنة تحرير المغرب العربي:

يعود إنشاء هذه اللجنة بعد عودة عبد الكريم الخطابي من منفاه بالقاهرة وإعلان إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي في 05 جانفي 1984 وقد نشر ميثاق هذه اللجنة بمختلف الصحف المصرية بالقاهرة وقد شارك في تأسيس هذه اللجنة مجموعة من الأحزاب المغربية حيث طالبوا بضرورة الاستقلال الذي هو في الأساس مرتبط باستقلال كل بلدان المغرب العربي الكبير [2].

واستنادا إلى هذه التوصيات فقد أقرت اللجنة لأول مرة ذلك التعاون الايدولوجي ضمن المشروع الوحدوي المغاربي، فتم ابلاغ سفير فرنسا بالقاهرة لهذه القرارات وعلى العموم فإن هذه اللجنة بينت تلك الحماسة المغاربية في ضرورة العمل والتغلب على النزعة الذاتية لكل قطر [3] في وقت كانت فرنسا منشغلة يبقيه مستعمرتها في مدغشقر والهند الصينية [4]

ج – قضية الوحدة من 1952– 1962:

بعد الحرب العالمية الثانية وابتداءا من سنة 1952 تغير العمل الوحدوي في بلاد المغرب العربي فانتقل من مضمونه السياسي إلى المفهوم الثوري لها، فمحاولة المغاربة اندرجت ضمن عنصر تعميم الثورة في هذا القطر الكبير، والدعوة إلى القطرية، هذه المحاولات التي قادها عموم زعماء الحركات السياسية مثل

---

[1]– قوي باغفيل، المرجع السابق، ص 175.

[2]– محمد بلقاسم، وحدة المغرب فكرة وواقعا– واقع فكرة الوحدة 1954–1974، ط1، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص 169.

[3]– قوي بافضيل، المرجع السابق، ص 164.

[4]– محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 172.

لحبيب بورقيبة والأمير عبد الكريم الخطابي، وبالنظر إلى الإنشقاق الذي حصل في الحزب الشعبي وحركة انتصار الحريات الديموقراطية في سنة 1953 أسس على إثرها اللجنة الثورية للوحدة والعمل.[1]

والتي سبقها في الظهور جبهة الاتحاد والعمل المغاربية وهوالخبر الذي نشرته جريدة المنار تحت عنوان "الجبهة المغربية. "

أما الجبهة الثورية فكان هدفها حماية حزب الشعب والعمل جنبا إلى جنب مع أشقائها في تونس والمغرب اللأقصى، ومن بين معالم التعاون هو لجوء الثوار التونسيين إلى المناطق الشرقية الجزائرية فتم تقديم المساعدة لثوار الجزائريين، ومنذ 1953 بدأت تتصاعد الأصوات بالقاهرة داعية إلى ضرورة عقد ميثاق جديد للجنة تحرير المغرب، وهنا تعد فكرة الوحدة التي تم احتوائها من طرف بلدان المشرق [2].

إن فكرة الوحدة تواصلت وظهرت في عدة مهام جسدت على أرض الواقع منها الإتحاد الإسلامي للمغاربة، ومؤتمر طنجة هذا الأخير الذي جاء بعد سقوط مشروع افريقيا الفيديرالية المرتبطة بفرنسا بعد حادثة ساقية سيدي يوسف والذي نتج عنه إعادة رسم الخارطة الجيوسياسية للبلدان المغاربة [3].

إذن هذه اللجان والمؤتمرات التي تبنت فكرة الوحدة ستكون تمهيدا لدعوة أحمد توفيق المدني إلى ضرورة توحيد العمل بين الأقطار الثلاثة.

---

[1]- محمد بلقاسم، المزجع السابق, ص 173.

[2]- غوي باغفيل المرجع السابق، ص 165.

[3]- محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 310.

3: الوحدة المغاربية في منظور أحمد توفيق المدني

إن قضية الوحدة وتكتل المغرب العربي في جبهة واحدة في ظل النكبة الاستعمارية نجدها محور مركزي في اهتمامات المدني، فهمهوم أمته بصفة عامة اتضحت منذ البدابة أو منذ بداية مشواره وارتبطت بفكرتين وهما الإسلام والوطن وهذا راجع إلى تشيعه بالفكر الوحدوي وإطلاعه على أحد مناهل النهضة في القطر العربي وهي جريدة" العروة الوثقى" والتي كانت تصدر بباريس تحت رعاية وإشراف محمد عبده وجمال الدين الأفغاني اللذان كان لهما مسعى لتجديد الأفكار وربط أواصر هذا القطر الواحد بعد أن فككته سياسة الاستعمار[1].

هذا الفكر الوحدوي الذي تبناه المدني مبكرا والذي دعى من خلاله إلي جمع شمل المغرب العربي الكبير المغرب الأقصى، الجزائر تونس ليبيا وتوحيد العمل في إطار واحد لمجابهة العدو وإن كان يوجد إختلاف في طبيعة الاستعمار ويكمن نشاط أحمد توفيق في ثلاث خطوات وهي [2]:

1-من خلال جمعية العلماء المسلمين

2-نجم شمال افريقيا

3-من خلال المقالات الصحفية

- في جريدة الشهاب
- في جريدة البصائر

أ. من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الرغم من أنها حركة إصلاحية ظهرت في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، ودعت إلى الرجوع بالإسلام إلى منابعه الأولى وتنقيته من الشوائب التي طالته بسبب السياسة الاستعمارية الهادفة غلى طمس الهوية إلا أن أهدافها كانت ابعد من ذلك فدعت إلى وحدت المغرب العربي في ظل العروبة والإسلام وهذا ما يتضح من خلال المقال الذي نشره عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب والذي تحدث فيه عن موقع المغرب العربي لباقي العالم

[1]- جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 280.

[2]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 250.

العربي كما وضح أن كل من ليبيا، تونس، الجزائر المغرب الأقصى، ارتبط عبر التاريخ بروابط متينة روحية ومادية فهو في نظره معقل للعروبة والإسلام [1]

وبحكم أن أحمد توفيق المدني من الأعضاء البارزين للجمعية ومحرر قانونها الأساسي تبنى هذه الفكرة ودعمها، فبشكل أو بآخر فان فكرة إنشاء جمعية من هذا المستوى هو رد صريح على ما قاله الكاردينال لا فيجري الذي صرح منذ أزيد مائة سنة قبل تأسيس الجمعية "علينا أن تخلص هذا الشعب من قرآنه وعلينا أن نعتني بالأطفال...فإن واجب فرنسا تعليم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء" ومن هنا فإن دستور الجمعية الذي كان العروبة التي لا تؤمن بالحدود الترابية[2].

إن عمل أحمد توفيق المدني بالجمعية كما يذكر في مذكراته أنه اتسم بشيء من السرية بحكم انه كان متابع من طرف الجواسيس والهيآت العليا من بينهم "جون وكسان" الذي أفرد لعمل الجمعية مقالا في مجلة "فرنتيبار" والملاحظ عن المقال أنه بين المسعى الإقليمي من تأسيس الجمعية على الرغم من تركيزه على شخصية ابن باديس والعقبى والإبراهيمي، فبين أن مرجعيات العمل الوحدوي عندهم والتي تعود إلى تعلمهم بالمشرق فان ابن باديس تعلم بتونس ولعقبي بالقاهرة ومكة والإبراهيمي بتونس ودمشق فهناك تشبعوا بفلسفة وأفكار الوحدة ثم يعرج الحديث عن أحمد توفيق المدني الذي وصفه برفعة المشير الخفي الأشهب والذي ربط نشاطه وفكره بنقطتين.

أن المدني هو أحد أقدم الزعماء الدستوريين ومن رعيلها الأول أمثال حسن قلاتي وعبد العزيز الثعالبي والذين كانوا شاهدين على تفكك الأقطار المغاربية إلى جانب أن نشاطه ارتبط بفكر الكثير من معاصريه، وهذا أحرج السلطات الفرنسية[3].

والمدني من خلال نشاطه بالجمعية فانه يبرز لنا الهجمة الاستعمارية الهادفة إلى إضعاف أي محاولة لتكتل أبناء المغرب العربي وهذا عن طريق الفكرة البربرية أو ما يعرف بظهير البربري الذي اعتبر كسياسة من فرنسا لتمزيق التلاحم الاجتماعي وأي مبادرة للوحدة، ففي المغرب منذ ماي 1930 وفي نفس السنة وفي الذكرى المئوية لإحتلال الجزائر عقد المؤتمر الافخارستاني بتونس الذي بين مدى تشرذم الأقطار المغاربية في هذه الفترة وفي آن واحد نجد صدور كتاب بالقاهرة عن مكتب الأخبار

---

[1]– عبد الحميد ابن باديس، "وحدة الشمال الإفريقي"، مجلة الشهاب، ج5، م 13، ع 507، الجزائر 1937، ص 332.

[2] – أحمد توفيق المدني، جياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 224.

[3] – صالح الخرفي، في رحاب المغرب العربي، ط 1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1985، ص 10.

التونسية يتحدث عن المؤتمر فشبهه بمأساة الأندلسيين من جديد في شمال إفريقيا فكان على حد قول المدني خطة مبنية على جهات متجاورة وبأسلحة متكاملة لضرب الإسلام ووحدة أبنائه في المغرب العربي[1].

ويخلص المدني إلى أن هذا العمل الذي كان في إطار الجمعية هو البرهان القاطع بين ما كان يجري في الجزائر وهي تحت النير الاستعمار فبين كذلك حاضرها في إطاره الوحدوي فهو عند حديثه عن فكرة التجنيس مثلا والتي شملت كل الأقطار المغاربية حيث حاول المستعمر من خلالها إرغام الشعوب المغاربية على التنازل عن قومتيها ولغتها ونبذ تاريخها وتقاليدها ويتناولها ضمن مفهوم غربي تمت الدعوة إليه من خلال الصحف والمجلات التي كانت تصدر باللغة الفرنسية هنا يقف المدني موقف الناقد اللاذع ويتساءل هل يمكن لعربي مسلم أن يصبح فرنسيا خالصا؟

فإن كان هذا صحيحا فان فكرة الوحدة ستلغى من أساسها وفي منظور المدني فان التجنيس هي بدعة ابتدعها الفرنسيون فالذي لم يتجنس فانه لم يضحي بدينه وقوميته، أما من أقدم على ذلك فانه يتبرأ من تاريخه ويريد أن يقطع الصلة بينه وبين انتماءه[2].

إذن فالعمل من أجل المغرب الكبير لا يكون متجزءا ولن يكون مثمرا إلا إذا كان محركه التضحية ونبذ الخلاف والشقاق وعدم النظر إلا للواجب المفروض ومن خلال هذا يتضح لنا أن الخطاب الوحدوي للمدني كان نابعا من قناعته وعن الواقع المعاش، فعمله كان من الجزائر في إطار الفكرة العامة التي تبنتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3].

ومن جهة أخرى يتطرق إلى عوائق الوحدة بالشكل غير مباشر من خلال محاولة الإدارة الفرنسية زرع الفرقة، كما يقول أنه حاول إخماد إحدى الفتن بالجنوب الجزائري في مسألة قضية "آذان غرداية" وهي تصب دائما في محاولة زرع الكراهية بين العربي والبربري ونقل الصراع بين المذهبين المالكي والإباضي، وهذا يعني محاولة تفكيك المغرب العربي من الداخل قبل أن تكون بتحرك أيادي خارجية وهذا ما يتضح من خلال ما طرحه المدني حول فكرة رأي ألمانيا في المغرب العربي، بعد محادثته مع شكيب أرسلان فألمانيا التي اقترحت تشكيل حكومة اتحادية للمغرب العربي حيث تمثل

---

[1]– المدني ، حياة كفاح ، ج1 ،المصدر السابق، ص 207.

[2] – المدني، حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 207

[3] – المصدر نفسه، ص 200.

كل أقطاره[1]، تونس، الجزائر، المغرب، ليبيا مع أن يكون التسيير مشترك بين الطرفين على حسب النسبة العددية فمثلا تكون حكومة تونس تحت رئاسة لحبيب بورقية والجزائر تحت رئاسة ميصالي الحاج والمغرب تحت رئاسة بشير السعداوي، وهنا يقول المدني أن مسعاه باء بالفشل لأن نية ألمانيا كانت لا تختلف عن تسلط الإدارة الفرنسية فهي إنتهزت فرصة إنهزام فرنسا أمامها[2].

ومن جهة أخرى فان كتابة التاريخ في فترات التحدي والمقاومة ومواجهة الغزوات الضاربة لكيان الشخصية الإسلامية العربية لبلاد المغرب الكبير لا تعني الحقيقة العلمية المجردة فحسب وإنما تعني إذكاء الحمية وبعث النخوة والإعتزاز بالشخصية المستهدفة في غرة الإحتفالات المئوية للإحتلال الجزائر، فأصدر المدني كتاب الجزائر الذي حمل شعارات وحدوية كبرى، الإسلام ديننا العربية لغتنا الجزائر وطننا[3]، أما خطابه الوحدوي نستشف كلامه لفئة الشباب من خلال مؤلفه، جغرافية القطر الجزائري «...إن المغرب العربي الذي يدعى جغرافيا شمال إفريقيا في حقيقة الأمر قطر واحد... » فالمدني يؤكد على وحدة الميصر وتشابه المعاناة التي تعيشها شعوب المنطقة في ظل السيطرة الاستعمارية الفرنسية[4].

وفي إطار مساعي أحمد توفيق المدني الوحدية في ظل كفاح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العام نجد مجموع زياراته التي قام بها لأهم البلدان العربية في بلاد المشرق، ونشاطه في البلدان المغاربية منها زيارته إلى المغرب الأقصى سنة 1955 كموفد من الجمعية لتهنئة الملك محمد الخامس بعد عودته من منفاه إلى الرباط في نوفمبر 1955 وكان رفقة العربي التبسي ومحمد خير الدين في الوفد، فاستطاع على حد قوله أن يعبر عن أحاسيسه اتجاه المغربيين ونقل صورة الجزائر لدى الشعب المغربي.

وأثناء زيارته للدار البيضاء[5]، يصور لنا تضحيات المغربيين في سبيل الحرية والاستقلال والكرامة جنبا إلى جنب مع الجزائريين والتونسيين وإخوانهم الليبيين، فهذه الزيارة أخذت طابعها السياسي ولكنها بينت ذلك التفاعل مع قضية الشعب المغربي، فالمدني 1920 مثل الجزائر وشارك مع

---

[1] – المدني، حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 203.

[2] – المصدر نفسه، ص 400.

[3] – صالح الخرفي، المرجع السابق، ص 54.

[4] – أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، ط 2، المطبعة العربية، الجزائر 1952، ص 04.

[5] – المدني، حياة كفاح، ج 3، المصدر السابق، ص 55.

إخوانه المغربيين فرحتهم التي جاءت بفضل جهودهم المشتركة جميعا وهنا يبرز دور المدني في تفعيل هذا النشاط[1].

ب – من خلال نجم إفريقيا:

منذ 1920حمل المغاربة نضالهم الجماعي الموحد من اسطنبول إلى فرنسا والعواصم الأوروبية الأخرى فوحدوا جهودهم تحت اسم نجم شمال إفريقيا بمشاركة كل من التونسيين والمغربيين والجزائريين منذ 1920 [2]، فأعطى هذا المشروع دفعة قوية لمفهوم الوحدة المغاربية وهو في حقيقة الأمر هو حركة سياسية جاءت للدفاع عن المغاربة وتنسيق العمل المشترك بين الأقطار الثلاثة والملاحظ أن الجالية المغاربية خاصة العمالية منها وبسبب إنفتاحها على التيار اليساري الفرنسي والحركات السياسية الأخرى المناهضة للحركة الاستعمارية ساعدت في تفعيل نشاط الحزب الذي تزامن ظهوره مع ثورة الريف المغربية التي قادها عبد الكريم الخطابي، لكن منذ الثلاثينات بدأ الحزب يأخذ طابعه الجزائري، إلا أن مضامينه الوحدوية ظلت راسخة في نضال الأعضاء المشكلين له وهذا ما يتضح من خلال رسائل النجم لبعض الأقطار المغاربية التي ذكر فيها ما يترصد بأبناء المغرب العربي الواحد[3].

ويذكر المدني أن داخل هذه الحركة وجد نفسه في جماعة واعية صالحة مفكرة، وأن المستعمر لم يكن يحسب لها حسابا فهي صيحة الإستقلال الوطني لأقطار المغرب العربي الثلاث في فترة تصاعد السياسة الاستعمارية، حيث ظن الكثير بأن فكرة القطر الفرنسي الكبير في هذه المنطقة تحققت، وتعززت هذه الحركة على غرار عمال المهجر بفرنسا بنشاط الأمير خالد، وعبد القادر بن الحاج علي، وميصالي الحاج، فبعد أن عقد الحركة مؤتمرها في 1926، أعلنت تأسيس حركة تدافع عن المغاربة حيث تم تأسيس جريدة الأمة فكانت الناطق الرسمي للحركة ولسان حالها والتي جوبهت من طرف الإدارة الفرنسية بالاعتقال وابعاد رجالها[4].

---

[1] – عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحدية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص 192.

[2]– أحمد حميدي، "مرجعيات الخطاب الوطني الجزائري"، م المصادر، ع 4، الجزائر، 2000، ص 03.

[3] – المدني، حياة الكفاح، ج2، المصدر السابق، ص 158.

[4] – مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص 25.

وعن نشاطه في هذه الحركة يؤكد المدني: «...إن هذه الحركة الاستقلالية هي روحي وهي سر وجودي» أما المغرب العربي في نظره هو مثل الطائر لا يحلق إلا مكتمل الأجزاء بالجسم والجناحين فالجسم هو الجزائر لحجمها وموقعها وأما الجناحان فهما تونس والمغرب فهل يمكن لطائر أن يحلق بدون جناحين؟، من جهة أخرى يثير المدني نقطة مهمة جدا وهي ان نجم شمال إفريقيا ما هو إلا حركة شيوعية بحتة وان عبد القادر بن الحاج علي وميصالي الحاج هما أبناءه ويعملان على الحبلين وما هذه الحركة التي هي في ظاهرها حركة ملية مشبوهة جاءت من أجل التغلغل في الأواسط الشعبية وهذا ما أظهره الطيب الجميل "في إحدى لقاءاته مع توفيق المدني فهو ينظر إلى هذه الفكرة على انها حركة استقلالية يجب تستند لحركة تحريرية كبرى وهنا يستشهد بتجربة الشيوعيين مع مصطفى كمال أتاتورك وكيف ساعدته في حربه ضد اليونان، وعن قضية استعانة أهل بلدان المغرب بها فهي على حد قوله أمر سياسي محض لا يرفضه عاقل أما فكرة الشيوعية فهي تهمة ألبسوها للحزب[1].

وبالرغم من أن النجم اقتصر في السنوات الأولى على أواسط الجالية الجزائرية في فرنسا إلا انه بعد مؤتمر سنة 1933 التي يقول فيها المدني أن قرارته أصبحت شريعة للعمل الوطني ومنهاجه، واهم ما نص عليه المؤتمر:

- جلاء جيوش الاحتلال عن الوطن وتأسيس جيش وطني قوي.
- الاستقلال الكامل للجزائر.
- اعتمار جميع المنشآت الاقتصادية الموجودة بالوطن ملكا للجزائريين.
- نزع ملكية جميع المستعمرين أو المستوطنين وارجاع الأرض لأهلها.

في هذه المرحلة يظهر أن النجم بدأ ياخذ طابعه الجزائري، فاستثمر في نشاطه مدافعا بذلك عن عروبته إيمانا من مؤسسيه بالقضية المغاربية، بالرغم أنه تصادم في كثير من الأحيان مع الحزب الشيوعي ودخل في صراع مع كل الأحزاب السياسية التي كان من ضمن أعضائها جزائريون وتونسيون الذين كانوا يعلقون عن انتصارها أمالا كبيرة في سنة 1936[2].

---

[1] – المدني، حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 203.

[2] – محمد قنانش ومحفوظ قداش، نجم شمال إفريقيا 1926– 1937، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الجزائر د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س، الجزائر، ص 46.

فقد نشط النجم أفكاره من خلال المؤتمرات منها مؤتمر بروكسل ما بين 10 و15 فبراير 1927 والذي احدث جدل سياسي على الصعيد العالمي، إلا انه جسد لأول مرة فكره تكتل الضعفاء ضد الهيئة الاستعمارية حيث ضم ثلاثة ملايين من العمال وجماعة النقابات، فحضر هذا المؤتمر كل من ميصالي الحاج ممثلا عن الجزائر والشاذلي خير الدين ممثلا عن تونس من الحزب الدستوري، والملاحظ أن ميصالي طالب بحقوق كل من أهل المغرب أما الشاذلي فكان لسان حال التونسيين وعلى العموم فان مطالب النجم في هذا المؤتمر بالرغم من تعدد أطرافه كان لصالح الجماهير العمالية ولسكان المغرب العربي، وقد نشرت قررات المؤتمر في الصحف الجزائرية منها جريدة الإقدام بعنوان حق الشعوب في تقرير مصيرها، أما جريدة الكفاح فنشرته تحت عنوان يقظة العبيد[1].

في حين اجتمع النجم في 19 أوت 1934 وحضره ما يقارب 3500 مناضل وخرج الاجتماع بلائحة تندد بالسياسة الامبريالية لفرنسا في مستعمراتها على وجه الخصوص المغرب، الجزائر، تونس، وانتهى هذا المؤتمر بلائحة شعارها "يحيا النضال التحريري لمسلمي شمال إفريقيا ويعيش الإسلام، أما التجار الجزائريون فوقفوا جنبا إلى جنب مع النجم في مدينة ليون الفرنسية وأعلنوا الإضراب[2].

وبغض النظر عن رؤية أحمد توفيق المدني التي أكدت على شعار الوحدة من خلال نجم شمال إفريقيا نجد بعض المؤرخين الذين ينفون فكرة أن نجم هو صورة حية عن مدى ترابط أقطار المغرب العربي وهي نفس الفكرة التي يفندها المدني من خلال وصفه للنجم بالنضال الشريف[3]، ومن جهة أخرى يؤكد على ان الأعضاء الفاعلين في النجم أمثال ميصالي الحاج الذي ألحقت به الكثير من التهم، وفي نفس الوقت طالته يد الإدارة الاستعمارية في 17 أوت من سنة 1937 فحكم عليه بالسجن رفقة الشاعر مفدي زكريا لمدة عامين وفي سنة 1941 حكم عليه بالأعمال الشاقة لمدة 16 عاما فالمدني أعطى أهمية لميصالي بالرغم من ان هذا الأخير لم يبارك ثورة 1954 وقال أن التاريخ سيعاقب من أعلنوها[4]. أما عن نظرته للأمير خالد الذي كان من أعضاء الحزب فتكلم عنه من زاوية ما نشر في جريدة لاديباش الجزائرية التي لم ترقى إلى مستوى في الحديث عن الأمير خالد في ذكر وفاته، فهو يرى انه كان من الرواد الأوائل الذين وضعوا اللبنة الأولى للحركة الوطنية الجزائرية منذ مطلع

---

[1] – سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954، د ط، دار الهومة، الجزائر، د ت، ص 15.

[2] – المدني حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 138.

[3] – محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 350.

[4] – محمد قنانش ومحفوظ قداش، المرجع السابق، ص 17 و ما بعدها.

القرن 20، فكانت الصحف في المغرب العربي وفي فرنسا وبلاد المشرق تتكلم عنه وتنقل مآثره وحين توفي بقي خبر وفاته مجهولا وطي الكتمان إلى حين وصول الصحف السورية إلى باريس وهنا نشرت جريدة لاديباش خمسة اسطر عن هذا الحدث[1].

وعلى العموم وبفعل الظروف السائدة في الجزائر فقد تبوأ نجم شمال إفريقيا مكانة تاريخية بادية في توجهات الحركة، الوطنية وحتى على الساحة المغاربية على الرغم من أنه ولد في تربة غربية في ظل تجاذبات التيارات السياسية السارية بمختلف تنظيماتها الكبرى خاصة النقابية منها، لكن النجم إحتضنته الطبقة العمالية المغاربية واستطاع أن يتبنى قضايا شعوبها المستعمرة، ومن هنا فإن النجم سواء كان ذو إتجاه يساري أو غيره فإنه مثل المجال الذي عبر عن مدى نضاله والبعد المغاربي الذي أخذه وكما يقول المدني«...أعمل الجزائر بروح تونسية وأعمل بتونس بروح جزائرية» [2] .

ج – من خلال المقالات الصحيفة:

كما نعلم وماهو معروف أن المدني كتب في العديد من الصحف منها الجزائرية والتونسية وبرز أكثر في جريدتي البصائر والشهاب والتي جسد من خلالها هموم المغرب العربي الكبير وفكرة وحدته.

– من خلال جريدة الشهاب:

عند دراسة المقالات التي قام بنشرها المدني في جريدة الشهاب نجد انه قد خصص جزءا منها للحديث عن فكرة الوحدة ومضامينها لتشابه المعاناة التي تحياها شعوب منطقة المغرب العربي في ظل السيطرة الاستعمارية وتأكيدا على وحدة المصير[3].

صاغ المدني من خلال الشهاب مقالا تحت عنوان "البؤس الأهلي" حيث أكد فيه على الروابط المتينة التي تجمع أهل المغرب الكبير فغض النظر على الروابط الدينية وهو الدين الإسلامي الذي وحدا المنطقة مشرقا ومغربا بالإضافة إلى عامل اللغة حتى إن تعددت اللهجات بين المراكشي والتونسي والجزائري فانه يبقى عاملا محوريا وأساسيا في المغاربة وهي في نفس الوقت العامل الذي بنيت عليه سياسية الإدارة الفرنسية خاصة في الجزائر حيث أرادت أن تخلق التفرقة العنصرية بين

---

[1] – رابح تركي، نجم شمال إفريقيا الشخصية الوطنية 1931– 1956، د ط، الشركة الوطنية، الجزائر، 1956، ص 65.

[2] – المدني حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 23.

[3] – عبد القادر خليفي ا لمرجع السابق ص 247.

الصحراوي والقبائلي وباقي العناصر التركيبية للمجتمع التي تتشابه في بلاد المغرب، وهو يؤكد دائما على فكرة مهمة جدا وهي الذاكرة التاريخية المشتركة بين أبناء هذا ما يبرر ضرورة العمل والنضال في جبهة واحدة إذن ففكرة الوحدة ليست بالشيء الجديد عن هذه المنطقة، لكن من خلال المقال الذي أسلفنا ذكره "**البؤس الأهلي**" تناول القضية من زاوية ثانية هو البؤس المشترك الذي يعبر عن الوضع والحالة الطبيعية لمسلمي ا لمغرب العربي على وجه العموم «كانت الروابط المتينة التي تجمع بين مسلمي شمال إفريقيا... لا يقل قيمة ألا وهو رابط البؤس»[1]. فهي نظره من المؤسف لا نجد حكومة محلية تقوم على أمور أهلها على صعيد كل المستويات الإجتماعي والإقتصادي على وجه الخصوص ففي، الجزائر ينطلق من فكرة أن حياة الجزائري كانت مبنية على الفلاحة هذه الأخيرة التي إنتفع منها الغرباء وهنا يقصد المستوطنون وترك الفرد الجزائري يموت جوعا، أما البادية المراكشية كما سماها وضعيتها لا تقل عن وضعية الجزائر، أما جارتها تونس بالرغم من الظروف خاصة السياسية منها كانت تبدي نوعا من الإهتمام بالوضع الإقتصادي بطبيعة الحال تنعكس على الوضع الإجتماعي وهنا يتضح أنها جاهدت لتحسين وضعية التونسيين من خلال المجلس الوطني التونسي الكبير إلا أن حالتها تتشابه مع جاراتها ويتضح هذا في المقالات التي كانت تنشرها الصحف التونسية نادت بضرورة تحسين الأوضاع، فجريدة التونسي مثلا صورت أن تونس قبل ان تطالها يد الاستعمار كان جنة الله على الأرض[2].

كما يتبنى المدني ما نادى به المجلس التونسي الذي قام بإلغاء الضرائب التي فرضت على التونسيين أو ما يطلق عليها اسم ضريبة العشر، وهنا ستتعارض مع السياسة العامة الهادفة إلى إثقال كاهل الشعب التونسي بالضرائب، فينتقد المدني هذه السياسة ليضع مقاربة تاريخية بين القطر التونسي والمغرب الأقصى، فيعالج قضية مجلس الشورى الذي رأى أنه مجرد أداة فرنسية لتحكم في الشؤون المغاربة، فمعظم نوابه تم تعيينهم ا من طرف الهيئات الفرنسية والذين هم من الأعيان كالتجار والصناع وأصحاب الحرف حيث يقوم بتسيير الأمور أو الميزانية المالية حسب ما يتوافق مع طموحاتهم ومصالحهم دون النظر في وضعية المغاربة، إذن فالمدني ينطلق من فكرة أن الأوضاع المتردية التي كانت تعيشها كل الأقطار المغاربية، دفعتها إلى ضرورة توحيد العمل المشترك لمجابهة المستعمر الفرنسي بالرغم من تعدد أوجه سياسته ولأن المأساة على حد قوله هي واحدة، ومن خلال مقاله دائما يذكر دار

---

[1] – أبو محمد، " البؤس الأهلي"، مجلة الشهاب م 11، ج 10، ع 656، الجزائر، 1936، ص 632.

[2] – المصدر نفسه، ص 632.

الايتام التي أسست بقسنطينة من طرف المجلس العموم القسنطيني والتي أطلق عليها اسم رفلينا" برئاسة الدكتور كنتارد، وحتى وإن كانت هذه الدار حسب رأيه المراد من ورائها تسير عملية التبشير الديني عن طريق عمل الأخوات اللائي خصصن لهذه المسألة وعموما فان الطرح التاريخي لقضية الوحدة من خلال هذا المقال فاننا نستنتج نوع من البساطة إلا أنه يحمل في طياته بعدا سياسا من خلال معالجته لقضايا واقعية سواء في الجزائر أو تونس أو المغرب وربطها بالسلطة المحلية ومن جهة احرى هي مقرونة بالسلطة الاستعمارية، فهو أراد أن يفعل النشاط الوحدي من الحالة المعيشية التي كانت تعيشها الأقطار المغاربية وفي نفس الوقت هي نقطة حساسة جدا هذا ما يجعلني المدني يختلف عن باقي المؤرخين من خلال طرحه التاريخي لقضايا عصره بحكم أنه عايشها وهو على علم ومحيط بظروفها.[1]

– جريدة البصائر:

من خلال المقالات التي قام المدني بنشرها في جريدة البصائر والتي كانت لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي نفس الوقت مثلت للمدني منبر آخر لنشر أفكاره الوحدوية حيث لم يفوت أي مناسبة عنه محاولا توعية عامة المغاربة والحركات الوطنية ولربط جبهات النضال فنجد مقاله في جريدة البصائر الذي صدر تحت عنوان "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية" في إطار حوادث القطر التونسي الشقيق. [2]

وفي هذا المقال حاول المدني أن يبرز تلك الصورة التضامنية بين الشعب التونسي والجزائري وربطها بالبعد التاريخي بمعنى أن العلاقة التي تربط الشعبين حدودها الزمانية لا تتوفق عند بداية الاحتلال، كما تصورها بعض الدراسات الغربية خاصة الفرنسية منها، فهو يجعل المجال واسعا عند حديثه عن الأشقاء التونسيين فلا وجود لتلك الحواجز الترابية التي وضعتها فرنسا لسببين:

---

[1]– أبو محمد، المصدر السابق، ص 633.

[2]– أحمد توفيق المدني، "جبهة الدفاع عن الحرية"، م البصائر، ع 182، 1952، الجزائر، ص 153.

1.أن تونس كانت المأوى المهاجرين الجزائريين منذ سنة 1871 بالأخص عائلة توفيق المدني.
2.تكوين ونشاط المدني خاصة السياسي منه كان في تونس[1] بحكم أن النخب الجزائرية كان لهادور كبير في الوطنية التونسية خاصة في الفترة الواقعة ما بين الحربين. [2] وهنا يظهر ذلك التكامل بين العناصر الوطنية الجزائرية والعناصر التونسية، هنا يجعل المدني من هذا الترابط إحدى اللبنات لتحقيق الوحدة في إطار النضال المزدوج والإقليم الواحد. [3]

وبالعودة إلى مقال المدني الذي تناول فيها فكرة السياسة الاستعمارية في تونس وآثارها والتي في آن واحد بينت مدى التآزر الذي أبداه الجزائريون خاصة بعد رفض فرنسا للمطالب التي تقدمت بها الوزارة التونسية وأيضا إثر عزوم حكومة الباي على عرض قضية تونس على المجلس الأممي كما عزمت الهيئات السياسية التونسية على رفع القضية إلى الرأي العام العالمي، وهنا يظهر مآزرة الجزائريين للتونسيين وشاركوهم في محنتهم، ويؤكد المدني بأن «كل شهيد تونسي قد سكن سويداء القلب» فقامت لجنة الدفاع عن الحرية ببعث برقيات عديدة إلى السلطات العليا في فرنسا، بالإضافة إلى مختلف اللجان في كامل القطر الجزائري والتي عقدت إجتماعات وأعلنت عن تضامنها الدائم والمتين للبلاد التونسية المكافحة. [4]

وهنا يتوافق المدني مع عبد الحميد بن باديس في فكرة التضامن هي صورة حية للوحدة أوجه آخر وهذا ما يؤكده ابن باديس في الذكرى التأبينية لبشير صفر التي أقيمت بتونس وهناك ألقى خطابه حيث أكد فيه على الشعور الإسلامي والعاطفة الإفريقية لهذا القطر.

ويقصد الجمعيات التونسية التي أشرفت عليها كل من الجمعية الطلابية الجزائرية بتونس والجمعية الودادية بتونس وأثر التجمع أكد فيه الحافزون على أهمية المغرب العربي الكبير، وأن المغرب العربي لا ينهض إلا بتضامن أقطاره مع بعضه البعض وأن الحديث عن الجزائر هو حديث عن الجزء من الكل. [5]

---

[1]- المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 09.

[2]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900-1956، ج3، ط2، دار كردادة، الجزائر، 2013، ص 90.

[3]- يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 342.

[4]- المدني،حياة كفاح ، ج1، المصدر السابق، ص 153.

[5]- المصدر نفسه، ص 155.

بالإضافة إلى أننا نجد ذلك الترابط الجزائري التونسي في المجال الصحفي، حتى إن أجمع المؤرخون على أن إرتباط الجزائريون بتونس كان من خلال جامع الزيتونة وإعتبارها طريقهم نحو المشرق العربي خاصة أثناء موسم الحج، فتونس كانت معبر أساسي لمختلف التأثيرات المشرقية فهي كانت المنفذ الوحيد لبعث نهضتها الإصلاحية بحكم أن الاستعمار فرض حصارا على الجزائر دون أن ننسى في ذلك سياسة الإدماج التي عملت على تحطيم العائلات التقليدية، ونفوذها السياسي والاقتصادي وهذا ما يؤكده المدني، أما التواصل فتجسد في أقلام عديدة كتبت في الصحافة الجزائرية خاصة في الفترة الممتدة 1912 إلى 1920 وهنا نذكر محي جلال الذي عمل مراسلا صحفيا للصحف التونسية في الجزائر، فيمثل هذا التفاعل والتعاون فصلا من فصول الترابط الحضاري بين القطرين. [1]

وفي مقال آخر للمدني في جريدة البصائر يتطرق للحديث عن القضية التونسية ومكانها في توازن المغرب العربي الكبير، فهو يتكلم عنها عندما تم تدويل القضية التونسية في هيئة الأمم المتحدة بعدما كانت تعتبر قضية فرنسية بحتة وهنا يجعل المدني من هذا الانتصار انتصار لكل المغاربة فهي فتحت الباب أمام كل الأقطار المغاربية لإيصال قضاياهم إلى المحافل الدولية، فردت الإدارة الفرنسية على ذلك بإصدار الإصلاحات وهذا كمناورة منها لقطع الطريق أمام إعلان المفاوضات، هذه الأوضاع التي كانت تعيشها تونس أدت إلى اغتيال أحد زعمائها وهو "فرحات حشاد"، فلم يكن لاغتيال هذا الرجل بالحديث الصغير بل كان وقعه على كامل التراب المغاربي، بالإضافة إلى حركة الإعتقالات التي طالت بعض زعماء الحركة العمالية والحزب الدستوري فأرسلتهم إلى معتقل الرمادة بالصحراء، هذه الظروف كان لها وقع على الرأي العام الجزائري حسب أكدته المظاهرات السلمية، أما في بلاد المغرب الأقصى فشهدت حوادث خطيرة في مدينة الدار البيضاء، ومن خلال هذا المقال يبين ذلك التضامن المغاربي أنه قطر واحد تداعت له سائر الأقطار في جبهة واحدة، وهنا يؤكد المدني أن هذا النوع من التضامن هو نقطة مهمة لبناء وحدة المغرب العربي في فترته الحديثة. [2]

---

[1]- عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ج2، م1، ط2، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص 325.

[2]- عبد القادر قويع، "العلاقات الصحفية بين منطقة الزيبان وتونس 1920-1934"، د.ع، جامعة زيان عاشور، الجلفة، د ت، ص 4 وما بعدها.

3- القضايا الإصلاحية:

من بين القضايا المطروحة التي نرصدها من خلال كتابات المدني هي نجد القضايا الإصلاحية التي ظهرت في ظل الموجة الاستعمارية ومن بينها قضية التحسين، الظهير البربري، الطرق الصوفية وهي قضايا إستدعت ضرورة الإصلاح لأنها تضرب المجتمع المغاربي في صلب أصوله والجوانب الحضارية المتعلقة به منه منها:

أ – التجنيس: من بين المسائل التي أثارت ضجة كبرى بين النخبة الجزائرية خاصة في أوساط جمعية المسلمين الجزائريين والمستوطنين الذين رفضوا منح الجنسية الفرنسية للجزائريين بين منهج المسلم الجزائري فرنسيا وفي حقيقة الأمر هو نية مبيتة لضرب الهوية العربية الإسلامية ومن جهة أخرى فالفكرة ليست وليدة القرن العشرين بل ترجع إلى العهود الأولى للإحتلال وهذا الأسلوب لم ينتهج في الجزائر فقط وإنما في جميع المستعمرات لمنطقة العربي، حيث أخذ التجنيس صورته الأولى في مشروع قانوني تحت اسم "سيناتيس كوسيلت" منذ 14 جويلية 1865 الذي نص على أن الجزائريين هم رعايا فرنسيون يحتفظون بقانون الأحوال الشخصية الإسلامية أما إذا أردوا الحصول على الجنسية الفرنسية فعليهم التخلي عن الحالة الشخصية العربية الإسلامية.[1]

أحمد توفيق المدني كان من بين من اللذين تطرقوا إلى هذه القضية أو المسألة وفصل فيها بطريقة جريئة وبشكل جوهري وبين أن الخطر الذي يترصد بالأمة من وراء إعلان مشروع التجنيس ففي سنة 1930 كتب مقالا في جريدة الإصلاح تحت عنوان بين " الموت والحياة" والذي رسم من خلاله صورة رمزية عن قانون التجنيس حول أنه إذا ما تقبل هذا القانون وتم تطبيقه فهو القضاء على التاريخ الجزائر وحصر لحاضرها وتغيير لمعالم مستقبلها، إذن فهذا المقال حمل أفكار قوية من خلال طريقة طرحها ومن جهة أخرى هي رد فعلي لمحاولات الفرنسية التي أرادت السلطة الفرنسية تحقيقها بكل الوسائل، وأما الكلمة دعوة فهي دعوة صريحة إلى جماعة المصلحين للحفاظ على الذاتية الإسلامية وأنقاض هذه الأمة من دعاة التجنيس.[2]

في حين ومن خلال مؤلفه "كتاب الجزائر" يظهر المدني ثقته من فشل هذا المشروع ووصفه برأيه البدر في وضح النهار فعلى حد قوله لا يمكن أن يكون هذا الشعب أن يصبح فرنسيا بعثا مع

---

[1]- شارل روبير آجرون، المرجع السابق، ص 405.

[2]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 289.

طول الزمن وهي في الحقيقة نظرة واقعية لأن إدماج أمة كاملة بدايتها وأخلاقها ودمجها بنظام المحتل وهذا إضمار باطنها بطبيعة الفرد الجزائري وذهنيته فهذا الحكم الذي نلمسه لدى المدني لا يربطه بالجانب الديني وإنما ربطه بالجانب الإجتماعي والتاريخي.[1]

أما على المستوى الشخصي فيظهر رفض المدني لقانون التجنيس حيث أنه عندما رزق بإبن له منذ فيفري 1930 أسماه إسلام كرد على القانون «...يا جماعة البارحة ولد كريستيان أي مسيحي، أبشركم بأنني رزقت ليلا بولد دعوته إسلام، ففي هذين الإسمين منهج سياستين، سياسة التجنيس وسياسة العروبة والوطنية والإسلام»[2] في حين أن الدراسة المتعمقة في طرحه المدني تخلينا إلى قضية مهمة جدا وهي إلى أي مدى كانت درجة تقبل هذا القانون وما أثاره؟ أما مدى تقبله: فقد ساد بين أوساط الجزائريين مقولة: «ماذا يصنع الميت في يد غسالوا» وهي الصورة التي حملها لنا المدني من نادي الترقي أين كان النقاش حول هذا القانون والتي تبين من خلالها أن الوضع في الجزائر وصل إلى طريق مسدود.[3]

أما آثار هذه السياسة فكانت أهدافها على المستوى البعيد خاصة في الجانب التعليمي الذي أصبح وجها أخر من وجه التجنيس لأنه يحقق نفس الأهداف، إذن من خلال هذه النظرة النافذة للمدني الداعية إلى ضرورة وفي ظل تصاعد السياسة الفرنسية المبنية على فكر استعماري محظ، جاءت الإحتفالات المئوية المخلدة لذكرى تاريخ الإحتلال في الجزائر، والتي كان التحضير لها منذ 1927، حيث تولت أكاديمية الجزائر إنجاز سلسلة من البحوث ونشرها وهي تحتوي على بحوث تاريخية لمختلف العصر للجزائر.[4]

في حين نجد أن العديد من المؤرخين يؤكدون على أن هذه الإحتفالات التي دامت أكثر من ستة أشهر من أكتوبر إلى شهر جويلية والتي أشرف عليها الحاكم العام "بيربورد" جاءت لاختبار قوة فرنسا في الجزائر أو بالأحرى تؤكد لوجودها[5] أما المدني فيرى أن هذه الإحتفالات وفي حد ذاتها هي

---

[1]- المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 329.

[2]- المدني حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 204.

[3]- المصدر نفسه، ص 105.

[4]- ميسوم بلقاسم، مرجع سابق، ص 32.

[5]- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائري 1931-1954، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1981، ص 85.

إهانة للجزائريين في عقيدتهم وشخصيتهم القومية[1]على هذا الأساس ولقطع مسار هذه الاحتفالات وكرد فعل عليها قام المدني رفقه ثلة من جماعة المصلحين بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي جاءت كضمان للمقومات الأساسية للشخصية الجزائرية، أما على المستوى الشخصي فقد قام بنشر مؤلفين نفى من خلالها صفة اللصوصية والتاريخ الجزائري القاصر وهي شعارات لوحت بها الإحتفالات المؤية فجاء كتاب الجزائر وكتاب محمد عثمان باشا.[2]

وهي مشاريع كما وصفها المدني مشاريع ناجحة أتت لتصحيح المفاهيم الخاطئة للتاريخ الجزائري فعلى خلفية هذه الإحتفالات وما أصدره المدني يبين لنا أن الصراع في الجزائر وفي بقية الأقطار المغاربية الأخرى وهو صراع إيديولوجي ديني قومي محظ تجاذبته الأطراف المتواجدة بها فالاحتفالات المئوية ومشروع التجنيس وغيرها من المشاريع قسمت الجزائر إلى قسمين بين مؤيد ومعارض، مؤيد تبين من خلاله أن فرنسا أحكمت قبضتها على الجزائر ولا بد من الخضوع للأمر الواقع أو معارض يناشد ويدعوا الأوساط المثقفة إلى ضرورة الإصلاح والنهوض بالأمة وواقعها.[3]

ب – قضية الطرقية:

من بين الأمور والقضايا الحساسة التي عرج عليها أحمد توفيق المدني في حديثه الطرقية أو ما تسمى الطرق الصوفية ا والدينية حيث تعتبر كعامل مشترك بين الأقطار المغاربية وهي من بين القضايا التي رأى فيها المدني أنها تستوجب الإصلاح أو إعادة النظر فيها وفي الدور الذي تلعبه في المجتمع، إذن فالطرق الصوفية هي مسالة دينية ارتبطت بالزوايا والمرابطين فاحتلت مكانة مرموقة في الحياة الثقافية والسياسية حيث كانت معقلا للجهاد ومصدر لتعليم ومنبرا للهداية والصلاح في مراحلها الأولى من ظهورها[4].

وما هو متعارف عليه هو أن الطرق الصوفية أخذت طريقها في المغرب العربي منذ القرن 11م وهي على العموم تتوزع بشكل غير متساوي ونجدها ترتكز في المناطق الجنوبية على وجه الخصوص وهي

---

[1]– المدني، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 166.

[2]– المدني حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 208.

[3]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 297.

[4]– التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والإستعمار في البلاد التونسية 1881–1939، رسالة دكتوراه، إشراف رشاد الايمان، جامعة تونس، 1987–1988، ص 40.

تتشابه فنجد الطريقة القادرية[1] في الجزائر وتونس بالإضافة إلى الطريقة التيجانية[2] الطريقة الشاذلية[3] وغيرها من الطرق:

لكن أحمد توفيق المدني عند حديثه يتكلم عنها من جانبين:

– **الجانب الإيجابي**: في كونها حافظت على الموروث العربي الإسلامي في كافة البلاد المغاربية من خلال الكتاتيب التابعة لها وكانت في أن واحد بمثابة المدرسة.

– **الجانب السلبي**: هو ما لحق بهذه الطرق من خرافات وأصبحت بعيدة كل البعد عن مبادئها وهي نفس الصورة التي حملها لنا المدني من مقبرة محمد بن عبد الرحمن الجيلالي المشهورة بالجزائر العاصمة وفي الحفل المستوي رجال الطريقة الرحمانية بين المدني ما كان يحصل هو أعظم البدع بالرغم أن ظاهر هذا الحفل كان صحيح المبنى.[4]

أما الأمر أكثر غرابة هو موقف أصحاب الطرقية من الاستعمار والتي تميزت بالتباين والجانب المشين هم جماعة الطرفين الذين مهلوا ولو نسبيا في دخول الاستعمار الفرنسي وهذا ما نجده قد حصل في البلاد التونسية كما هو معروف أن الطريقة القادرية التي سهلت على المستعمر عملية الاستيلاء على مدينة الكاف التونسية، وهي نفس الوضعية التي تؤكدها الكثير من المصادر التاريخية حول طريقة التيجانية في الجزائر، إن ما طرحه المدني يقودنا إلى ما ذكره التليلي حول أن واقع الطرق الصوفية في الجزائر أو موقفها من الاستعمار وهو الذي في الوقت نفسه تحدد بطريقة تعامل الإدارة الفرنسية الطرق الصوفية التونسية لأن ما نجده هو ذلك الصمود من أصحاب الزوايا وقيادتهم للعديد

---

[1]– الطريقة القادرية: هي من الطرق الصوفية الأصيلة لبلاد المغرب تنتسب إلى مؤسسها عبد القادر الجيلاني والبارز في تاريخها إنها دخلت البلاد التونسية مبكرا انشات أول زاوية لها بمنزل بوزلفة بمعونة حمودة باشا الذي اعتبر من أوائل أتباعها قدر عدد أتباعها سنة 1925 ما يقارب 117.681 الف مريد للمزيد أنظر: العجيلي التليلي، المرجع السابق، ص 40.

[2]– الطريقة التيجانية: تنتسب إلى مؤسسها سيدي أحمد تيجاني وهي طريقة أصيلة إنتقل في الصحراء نشر طريقته ثم التجأ إلى فاس حيث اجتمع به إراهيم الرياسي أثناء سفره إلى المغرب الأقصى سنة 1804 فتأثر به وكان بذلك أول من تلقى الطريقة التيجانية لحاضرة تونس وتعلق بها، (للمزيد أنظر: العجيلي التليلي، المرجع السابق، ص 43).

[3]– الطريقة الشاذلية: هي طريقة متفرعة عن الطريقة القادرية وتنتسب إلى مؤسسها ابي الحسن الشاذلي وهي لم تتعارض مع الطريقة الأم تفرعت عنها الطرق الأخرى كالطريقة المدنية (للمزيد أنظر: العجيلي التليلي، مرجع سابق، ص 45).

[4]– المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 80.

من الثورات مثل الطريقة الرحمانية التي جعلت فرنسا تتوجس أن تلقى بتونس ما لقيته من مثيلتها بالجزائر.[1]

لكن أحمد توفيق المدني يتسائل عن ماهية الطرق التي بدأت تظهر ولا سيما أن من جاء بها هم في حقيقة الأمر أشباه الأمين وهذا ما أشار إليه حول الشيخ أحمد عليوة المستغانمي، وتساءل إذا كان هذا النوع من الطريقة الجديدة التي قام بتأسيسها هذا الرجل قادرة أن تقف في وجه التيار الإباحي الذي هو عصارة السياسية الاستعمارية، ثم أن الكتاب التي تحمل أفكار هؤلاء مثل كتاب "المنح القدسية في شرح إبن عاشر على الطريقة الصوفية" هي كتب تحمل الأباطيل والضلالات وهي دعاوي سافرة ومن جهة أخرى فإن ما ألقاه المدني في المسجد الحنفي نستشف تلك النزعة الداعية إلى النهضة ليس في الجزائر فقط وإنما في حمل الأقطار المغاربية «...أيها القوم: الدين، الوطنية، اللغة العربية، الإتحاد الإسلامي بين كل الطبقات هذا هو طريق خلاصكم».[2]

وفي الواقع الأمر فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو ترجمة فعلية لمحاولات الإصلاح لأنها جمعت بين علماء الجزائر المتنورين بالنهضة والمناهضين للاستعمار[3]

هذه الحركة التي تبناها المدني من خلال حديثه عنها والدعاية لها رسميا عن طريق جريدة المنتقد والشهاب سنة، وأكدت الحركة على تمسك بمبادئ العروبة والوحدة، والحركة الإصلاحية في الجزائر هي إمتداد لما كان يحصل في المغرب العربي جاءت كمحاولة للنهوض وتغيير الأوضاع السائدة خاصة في الجانب المثقافي كتعليم اللغة العربية ومحاربة الأمية.

إذن فالفكر الإصلاحي في الأساس بني على الواقع المغاربي التي كانت تعيشه بلدانه بسب السياسة الاستعمارية لهذا كان لابد من بعث حركة إصلاحية جديدة.

ج – الظهير البربري:

أما عن الإصلاحات في المغرب الأقصى تحدث عنها المدني حديثه عن قضية الظهير البربري، وهي سياسة استعمارية تهدف إلى إخراج الشعب المغرب الأقصى خاصة والمغربة كل عامة ع تعاليم الدين

---

[1]– التليلي العجيلي، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 77.

[2]– المدني،حياة كفاح ، ج2 ، المصدر السابق، ص 81 وما بعدها.

[3]– صالح الخرفي، المرجع السابق، ص 13.

الإسلامي حيث بنيت على فكرة البربرية التي هي في الأساس محور جوهري في الدراسات الغربية لمنطقة المغرب العربي وجعلته كوسيلة لزرع الفرقة بين أبناء المغاربة [1] ويذكر اجيرون أن هذه السياسة طبقت في الجزائر ما يعرف بالأسطورة القبائلية وعلى قوله هي سياسة استعمارية هادفة لتمزيق وتفتيت الشعب عن طريق تكريس الرق المبنية بتفضيل العنصر القبائلي على حساب العنصر العربي مع إذكاء نار العداوة بينهما، ومن هؤلاء الذين مثلوا هذا الفكر نجد كل من داموس وديذياغ، فهذه السياسة كانت قاعدتها استغلال خصوصيات منطقة القبائل ذات الأصل الأمازيغي لترسيخ تميزها وتسهيل عملية إدماجها في فرنسا [2].

و على العموم فان فكرة البربرية تعود إلى بدايات الحركة الاستعمارية حينما كانت الدول الأوربية تبحث عن سبيل لها في هذه المنطقة وإيجاد مبررات لتفسير قضية الاستعمار[3] .

لكن أحمد توفيق المدني يعالج قضية الظهير البربري من زاوية إصلاحية فهو يؤكد على ترابط ابناء المغرب الاقصى بالرغم من تعدد أجناسها وجعلها صورة مميزة لها وهذا ما جاء في كتابه المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا حين قدم تعريف عن المجتمع البربري أمة البربر الأمازيغية الابية، وهي مجموعة أقوام وقفت أمام جبروت الظالمين وما ضعفت قواها اتجاه أعمالهم الشنيعة وبطشهم الشديد، وما استكن لسلطان الاستعباد أيا كان مصدره سواءا جاءت من روما أغلاله، أم صبت في بيزنطا قيوده، فالبربر على تفرق شملهم كانوا كثر إستماتة من أجل الحرية وأشد الناس تضحية في مبدان الإستقلال وهنا يخص بالذكر قضية البربر التي جاءت كصورة ثانية للفكرة البربرية منذ شهر ماي 1930 [4].

و كان رد الفعل على هذا المشروع أن قام المغاربة بمظاهرة شملت التراب المغربي وفي نظر المدني ردة الفعل من هذا المستوى كان محركها أعضاء الحركة الوطنية في سياقها الإصلاحي التي فتحت أمامهم السجون الفسيحة لأن الإدارة الاستعمارية وجدتها فرصة سامحة للقضاء على رجال العلم من شبان المغرب الذي أقدموا على التضحية الكبرى[5] .

---

[1] – عبد القادر خليفي،المزجع السابق،ص303.

[2] –شارل روبير أجيرون،المرجع السابق،ص200.

[3] – بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر1830– 1930وانعكاساتها على المغرب العربي،د.ط،دار الحكمة،2010،ص 174.

[4] - المدني،المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا،المصدر السابق،ص47.

[5] – دون إمضاء، "في الشمال الإفريقي"،م الشهاب، ج9، م13،الجزائر 1937،ص418.

و من جهة نجد أن قضية الظهير البربري كانت أثر كبير في نفوس المغاربة إلى درجة أن رئيس فرنسا أنذاك قام بزيارة إلى المغرب ليقف على الأوضاع، فقام أهل المغرب بإرسال رسالة أمضى عليها الجميع حيث أكد من خلالها على تمسك الشعب المغربي بدينه الإسلامي ورفضهم القاطع لهذا المشروع وفي نفس السنة قامت السلطات الفرنسية بتراجع وإلغاء قرار الظهير البربري[1].

[1] – أحمد بن نعمان،فرنسا والأطروحة البربرية– الخلفيات – الأهداف – الوسائل– البدائل،ط2، دار الأمة 1937،ص39.

خلاصة

إن فكرة الوحدة متأصلة في تاريخ المغرب العربي،فعروبته هي المدخل التاريخي لها ففي غمرة المواجهة مع المستعمر برهن أبناء القطر على تماسكهم،فيصبح القول من هذه الزاوية بأن الفترة الاستعمارية أزهى الفترات أصالة وتعبيرا صادقا على المقومات الأساسية الشخصية العربية المغربية المسلمة في هذه الربوع ودفاعا مستميتا في الحفاظ عليها وتطلعا صادقا للأخذ بأسباب التماسك والوحدة في غمرة التمزق،وبفضل هذه الأرضيةالتي كانت روافدها مشرقية الأفكار وفي آن واحد نشطها أبناء المغاربة أمثال باش حابه وعبد العزيز الثعالبي،سواء عن طريق الخطاب السياسي الذي إحتوته الصحف أو الصحافة أو من خلال نشاطه في مختلف العواصم الأوروبية خاصة الفرنسية منها إذن فهذه الأرضية أنتجت الحركة الإصلاحية واوجدت التنظيمات السياسية ومهدت للفكر الثوري .

كان أحمد توفيق المدني من بين من حملوا شعار الوحدة وأكدوا عليه في مؤلفاته خاصة كتاب جغرافية القطر الجزائري حيث أكد على الوحدة بالإعتماد البناء الجغرافي ومكانة الجزائر لكل القطار المغاربية أو من خلال الصحف، فلم يفوت أي مناسبة لتبليغ رسالته النضالية ذات المضامين الوحدوية وخاصة من خلال جريدة البصائر والشهاب .

وعلى العموم فإن فكرة الوحدة هي متأصلة في ثقافة وفكر المدني منذ بداية نشاطه ترجمها من خلال حركة نجم شمال إفريقيا وجمعية علماء المسلمين الجزائريين بقيادة عبد الحميد بن باديس وأيضا من خلال رحلاته في إطار الوفود الدبلوماسية فالمدني يمتلك صفة نرجسية في خصائص التعبير فساد في لغة تعبيره حماسة الخطيب وروح المحرض على الفعل،فالنصر يكون لديه في إطار الوحدة والتألف وأما الهزيمة فتكون في الفرقة والتخاذل .

يدرج المدني فكرة وبالأخرى مجموعة من القضايا جاءت كنتيجة حتمية للتواجد الاستعماري وهي قضايا إصلاحية بحتة إستدعت ضرورة تحرك النخبة المثقفة التي نشطت في الجمعيات كجمعية العلماء المسلمين في الجزائر، وحتى بعض العلماء المصلحين كخير الدين التونسي بتونس مثلا،وهذا للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية المغاربية،وهذا ما نجده عندما تحدث عن التجنيس الذي تكلم عنه من زاوية مدى تقبل الفئات الشعبية لهذا القانون ومدى تأثيره ليس في الحقبة الاستعمارية وإنما على المستوى البعيد وهي نفس الطريقة التي تناول بها قضية الظهير البربري وقضايا حساسة أخرى .

وعلى العموم فإن المدني في حقيقة الأمر يوجه خطابه إلى الطبقة المثقفة وعموم الشعب، ويدعو إلى ضرورة إعادة النظر فيما كتبه الآخرون عنا والذي نحن نتخذه كمرجعية للكتابة التاريخية

إذن فهو يدعو إلى تولي أبناء هذا القطر كتابة تاريخهم بأنفسهم وهذا ما نجده في مؤلف "الجزائر "و هذه "هي الجزائر".

المبحث الرابع

قضية الثورة التحريرية 1954 وصداها المغاربي

1- موقف المدني من الثورة التحريرية 1954

2 – نشاط المدني في الثورة

3 – صدى الثورة المغاربي

1- موقف المدني من الثورة:

مما لا شك فيه أن أحمد توفيق المدني من بين الذين حضروا للثورة من خلال خطابه في الصحف وما تناوله في مؤلفاته التي بينت حقيقة الاستعمار، والذي أكد من خلالها أن نهاية الاستعمار قد قربت،[1] وأكد بكل صراحة عن دوره في التحضير للثورة من خلال مذكراته «...إنني وإن كنت هيأت للثورة منذ أمد بعيد لم أكن قائدا من قادتها وبطلا من أبطالها، بل كنت خادما مطيعا لأوامرها» [2] ومن هذا يتضح لنا ان المدني صلته بثورة التحرير لا تبدأ منذ 1954 وهو تاريخ انطلاقها، وإنما هو من الأوائل الذين وضعوا اللبنة الأولى للفكر الثوري على حد قوله وفي حقيقة الأمر أن دراسة موقف المدني من الثورة وكيف والتحق بها، وما الدور الذي لعبه لصالحها؟ لا ينبغي أن يكون بعيدا عن الظروف العامة التي كانت تعيشها الجزائر والتطورات السياسية والتوجهات للرأي العام في الداخل والخارج على وجه العموم. [3]

وفي الحقيقة فإن موقفه من الثورة نفس الموقف التي أبدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أما عن موعد إنطلاق الثورة فيؤكد المدني أنه كان على علم بها وهذا أثناء زيارته لمدينة باتنة حيث أطلعه عمر دردور بالفكرة إلى جانب تأكيده بشكل صريح على أن جل أعضاء الجمعية كانوا على علم ومؤيدين ومقتنعين بهذه الحركة الثورية منذ البداية[4] وهي نفس القضية التي يشكك فيها الكثيرون بحكم تأخر بيان الجمعية إلى غاية 1956، فنجد عبد الرحمان ابن ابراهيم العقون من المشككين في ذلك، فيحمل لنا موقفه مما أورده المدني حول رأيه من الثورة «...لا أريد تتبع حالات موقف جمعية العلماء المسلمين... لكن أشير فقط إلى ما سجله بعض أعضائها على ما فيه تضارب واختلاف فالأستاذ المدني الكاتب الشهير والكاتب العام... يسبق فيكتب في حماس غامر وبدعوى غزيرة تحتاج إلى إثبات»[5] هنا يتساءل هذا الأخير كيف أن المسؤولين المقربين من محيط مفجري الثورة لم يكونوا على علم بينما إستطاع هو أن يكون على علم بها لذا وجب دراسة هذه القضية.

---

[1]- أبو محمد "منبر السياسة العالمية"، م البصائر، ع 04، الجزائر، 29 أوت 1947، ص 04.

[2]- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 3 ،المصدر السابق، ص 13.

[3]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 312.

[4]- المدني، حياة كفاح ، ج3 ،المصدر السابق، ص 19.

[5]- عبد الرحمان إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج3، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 509 وما بعدها.

أما محمد خير الدين[1] فيناقض المدني في طرحه تماما «كل هذا ليس له أساس من الصحة ما كان أحد من أعضاء جمعية العلماء يعلم من أمر الثورة شيئا قبل إندلاعها لا توفيق ولا غيره يعلم»[(2)]

وبالرغم من تضارب الآراء حول ما أفاده المدني فإنه يؤكد من جديد على ما قاله من خلال مؤلفه "رد أديب على حملة أكاذيب «...كنت من الأحزاب القلائل الذين علموا بذلك الوقت كما علمه المجاهد اليوغسلافي "إزدارخيو" من القاهرة وسارعوا إلى الجزائر ليكون مع أوائل المجاهدين»[(3)] وفي واقع الأمر فإن تاريخ إنطلاقة الثورة وما هي الأطراف التي كانت على علم بها من القيادات الوطنية بتعدد مشاربها تبقى مسألة محل دراسة أو تجسيدا لمبدأ المدني الثوري ومدى إيمانه بها، حيث قام بعقد اجتماع رفقه محمد خير الدين يوم الفاتح نوفمبر 1954 وهذا بدعوى من المجلس الإداري للجمعية بمدينة قسنطينة وهناك قرر أعضاء الجمعية أن يساندوا الثورة دون تحفظ[(4)]

وكترجمة لهذا الموقف، قام المدني ببعث رسالة إلى الشيخ محمد البشير الابراهيمي الذي كان متواجدا بالقاهرة وطلب منه إذاعة خبر إعلان الثورة الجزائرية عن طريق إذاعة صوت العرب[5] وأكد على ان من أسندت لهم القيادة هم جماعة جبهة التحرير الوطني وهي هيئة غير حزبية وتمثل صوت الشعب وهذا أملا منه أن يجد دعما ماديا ومعنويا من الخارج، وهنا يتفق موقف المدني والإبراهيمي في وجهة نظرهما للثورة رفقة الورتلاني، فصرحا عن دعمهم المطلق لقرار إعلانها بالبيان الذي صدر ب 2 نوفمبر 1954 حيث نشرت نسخة منه في الصحافة المصرية ووكالة الأنباء الدولية، أما البيان الثاني فصدر بتاريخ 11 نوفمبر 1954 الموقع باسميهما، أشيد فيه بالثورة وأهم العمليات العسكرية وأن الثورة هي ثورة شعب، أما البيان الثالث فصدر بتاريخ 15 نوفمبر 1954 وهو تصريح للإبراهيمي عبر راديو

---

[1]- محمد خير الدين: قائد إصلاحي عضو المجلس الوطني للثورة 1958 ولد في ديسمبر 1902 بقرارة (بسكرة) درس بالمدرسة القرآنية بقريته ثم بجامع "الأربعين شريفا" بقسنطينة وهي المدرسة التي كان يشتغل بها طاهر بن زرغوتة وبعد الانتساب إلى الزيتونة 1918-1925 عاد ليشتغل بالتعليم في مسقط رأسه واستدعى في 1928 من طرف ابن باديس من أجل تأسييس جمعية العلماء المسلمين، للمظيد أنظر: محدمد الشريف ولد حسين، ص 36.

[2]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 313.

[3]- المدني، رد أديب على حملة أكاذيب، المصدر السابق، ص 233.

[4]- عمار بحوش، التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية لغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 274 وما بعدها.

[5]- إذاعة صوت العرب: تأسست سنة 1952 بعد إطاحة النظام الملكي المصري وقيام نظام الثورة والهدف من إنشاء هذه الإذاعة هو مناصرة قضايا التحرر إعلاميا وسياسيا وكانت قوة مدعمة للثورة الجزائرية، (للمزيد أنظر: عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 330 .

القاهرة أكد فيه على ضرورة مساندة الثورة، إذن هذا الموقفو الإبراهيمي من الثورة يعتبر بمثابة الفتوى لشعب الجزائري وفي آن واحد موقف إيجابي لصالح الجمعية .[1]

وفي سياق آخر مساند للثورة رفع المدني مستوى نضاله بالرغم من خطورة الوضع من خلال كتاباته في جريدة البصائر التي كانت تحت الرقابة الاستعمارية، وتولى فيها تحرير افتتاحية المجلة وكتابة مقال لتغطية الثورة بعنوان "يوميات الأزمة الجزائرية" وتحرير موضوع السياسة العالمية «... وإنني وضعت البصائر منذ اليوم الأول وباتفاق العلماء في صميم المعركة ولم يكن الأمر يسيرا... فقد كان علي أن أتولى النضال عن حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال... وكان علي ثانيا أن أتجنب في مقالاتي ما تأخذ منه الحكومة ذريعة للايقاع بالبصائر وحزب جمعية العلماء... وأن أعرض كل مقال إفتتاحي بصفة سرية على مكلف من طريف قيادة الثورة» [2]

هذا الموقف من المدني وخاصة بعد المقال الدذي نشره بتاريخ 09 نوفمبر 1954 والذي من خلاله أشاد بالثورة ومن قادها وردا على ما صرحت به السلطات الفرنسية أن الجمعية هي المسؤولة عن قيام الثورة أو ما أسمته بالأحداث، فعنون مقالا "لا رجوع إلى الوراء " وهذا بسبب مصادرة بعض أعداد البصائر جاء فيه «...فمصادرة البصائر إنما هي في الحقيقة مصادرة لصوت الأمة ومحاولة لتحطيم البصائر وإنما هي محاولة إخماد نقابي الأمة »[3]

ومن الرسائل التي كانت تصل إلى المدني من رئيس الجمعية بالقاهرة الرسالة المؤرخة في 22 أوت 1955 والتي أشادت بمواقف الرجل والتي كانت تعبيرا على توجهات الجمعية في جانبها السياسي يقول الابراهيمي فيها «... أذكر فضلكم ومواقفكم ورفعكم لقيمة البصائر في هذه الزعازع مما يحمده لكم كل منصف ويحسدكم كل متعسف..» [4] ثم إن بيان الجمعية الصادر في 07 جانفي 1956

---

[1] – محمد بن ساعو،" العلامة محمد البشير الإبراهيمي والثورة التحريرية "، م حروف لدراسات التاريخية، ع 1، الجزائر، أوت 2014، ص 97 .

[2]– المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 26 وما بعدها.

[3]– المصدر نفسه، ص 81 وما بعدها.

[4]– المدني، رد اديب على حملة أكاذيب، المصدر السابق، ص 155.

والذي حرره المدني بتكليف من العربي التبسي[1] يعتبر كتفنيد لكل التساؤلات التي تطرح حول الرجل وفي آن واحد يؤكد المدني ان مقر الجمعية اصبح قاعدة لاتصالات الجبهة كما أن مناضليها كانوا عناصر سريين في ايصال الرسائل مثل أحمد سحنون[2] ويطرح لنا المدني فكرة ونقطة حساسة وهي سياسة المستعمر في هذه المرحلة والتي هدفت إلى إغراء بعض المناضلين من الحركة الوطنية، ومن خلال مذكراته يؤكد أنه تلقى اتصالين من السلطات الفرنسية ولم يذكر تاريخهما، الأولى كانت عن طريق "ريمون هارون" والثانية أثناء زيارة "غي موليه" للجزائر. [3]

وعلى هذا الأساس يتضح لنا أن موقف المدني من الثورة كان موقفا إيجابيا ومشرفا من الثورة بالرغم من بعض التساؤلات التي تطرحها بعض الدراسات التاريخية، خاصة من طرف من عاصروه، امثال محمد خير الدين، ويظل ما ورد في مذكراته حول الثورة هي ترجمة فعلية لموقفه.

2 – نشاطه في الثورة:

إن المهام التي أسندت للمدني أثناء الثورة توزعت بين نشاطه في الوفد الخارجي للثورة ونشاطه بالحكومة المؤقتة، فسواء كانت في الجبهة الداخلية أو الخارجية فهي بمثابة تعبير عن شخصية المدني القادرة على التعامل مع الظروف القائمة في ظل السيطرة الاستعمارية في السنوات الأولى من الثورة أو ما يطلق عليها باسم مرحلة عنق الزجاجة.

أ – نشاطه في الوفد الخارجي:

بعد هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955 والتي أكدت على ضرورة الالتفاف حول الثورة خاصة انه ساد في الأوساط الشعبية أن السلطة الاستعمارية أحكمت قبضتها على الثورة،

---

[1]- العربي تبسي: هو من الشخصيات الهامة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جانب ابن باديس ولد بقرية السطح بتبسة وتابع دراسته بتونس في جامع الزيتونة تم بالأزهر، إشتغل بالتعليم مع عودته للجزائر، 1925 والتحق بعدها بجمعية العلماء المسلمين عين أمينا عاما للجمعية في 1935 ثم نائبا للرئيس في 1940 ألقي عليه القبض وسجن عدة مرات اختطف واغتيل من طرف الجيش الفرنسي في 17 أفريل 1957..لمزيد أنظر: محمد الشريف ولد حسين ص 39.

[2]- سحنون أحمد: ولدى في 1900 بقرية ليشانة ولاية بسكرة حفظ القرآن في سن مبكرة، إحتضن الحركة الإصلاحية وشارك في ميادين الجمعية بلسانه وقلمه، وهو من الشعراء الحنكين، وكان خطيبا بمسجد العاصمة (للزيد أنظر محمد حسسن فضلاء، مرجع سابق ص 58)

[3]– المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 42 ما بعدها.

فقامت جبهة التحرير بدعوة المدني لانضمام إلى الوفد الخارجي بالقاهرة بدعوة من عبان رمضان[1] هذا الأخير الذي أكد على قيمة المدني وما سيقدمه إذا ما انضم إلى الوفد «...إننا لنشعر بنقص كبير بين صفوف وفدنا الخارجي فسر إليهم بأسرع ما يمكن لتعمر ذلك الفراغ واعلم أن حظك في الجهاد هناك يعادل أو يفوق حظك لو أنك عمدت إلى الجبل وحملت بين إخوانك السلاح..».[(2)]

وهو يؤكد على أن الانضمام إلى الوفد منذ 1956 كان بقناعة شخصية وبمواقفة من رئاسة جمعية العلماء المسلمين من طرف العربي التبسي، ثم إنه يذكر أن اللقاء تم في منزل عباس التركي في حين يذكر محمد خير الدين هو من قام بتعيين المدني رفقة العباس بن الشيخ الحسين في الوفد وأن المدني لم يلتقي بعبان رمضان من الأساس. [(3)]

وبالرغم من هذا وذلك فإن المدني من أعضاء الوفد الخارجي التحق به منذ ربيع 1956 بعد سفره إلى باريس ثم جينيف السويسرية ثم القاهرة، وهذا لتشتيت انتباه السلطات الفرنسية، وهناك التقى برفاقه الشيخ الحسين وفرحات عباس[4] وأحمد فرانسيس وقدور ساطور الذين كانوا يتأهبون للسفر إلى القاهرة، ومما يذكره أنه عندما وصل إلى العاصمة المصرية القاهرة قدم توصيات لمحمد خيضر[5] مفادها إعادة توزيع المسؤوليات من بينها تأسيس مكتبين[(6)] أحدهما للنشاط السياسي يشرف عليه بنفسه، ومكتب آخر للشؤون العسكرية يشرف عليه أحمد بن بلة، على العموم فإن نشاط المدني في الوفد الخارجي توزع على ثلاث جبهات الأولى هي إعادة تنظيم سير أعمال الوفد لان ما لاحظه هو أن الوفد يعاني من ضعف التنسيق بين الأعضاء علاوة على توتر العلاقات الشخصية خاصة

---

[1]- عبان رمضان: ولدى في قرية عزوزة ببلاد القبائل 1876، كان يدعى محند أو فرحات أي إبن فرحات، وهو من عائلة ثرية، وفي سنة 1933 توجه إلى البليدة لمزاولة دراسته الثانوية (للمزيد أنظر أبطال من الذاكرة ص 85).

[2]– المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 105.

[3]– عبد الرحمان ابراهيم العقون، المصدر السابق، ص 311 وما بعدها.

[4]- فرحات عباس: ولد في 1899 بالظهير ولاية جيجل عرف بنضاله إلى جانب زعماء المغاربة ضمن جمعية الطلبة المسلمين لافريقيا الشمالية، تحصل على شهادة الصيدلة ثم انطلق إلى العمل السياسي وانتخب مستشار عام بسطيف ثم مندوبا ماليا وفي سنة 1946 الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وفي 1956 التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني وتوجه بعد ذلك للقاهرة فشغل منصب عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1956 ثم في لجنة التنسيق والتنفيذ. (للمزيد أنظر مجلة الذاكرة، ص 236).

[5]- محمد خيضر: ولد في 13 مارس 1912 بالجزائر العاصمة كان عضو في لجنة الادارة لحزب الشعب الجزائري ألقت القوات الإستعمارية القبض عليه في 22 أكتوبر 1956 ليطلق سراحه بعد وقف إطلاق شغل منصب وزير الدولة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية توفي في 4 جانفي 1957 (للمزيد أنظر: مجلة الذاكرة ص 238).

[6]– المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 115 وما بعدها.

ذلك الخلاف الخفي الذي كان موجودا بين الأمين دباغين ومحمد خيضر، أما الجبهة الثانية فهي قضية السلاح والدعاية وجاءت كآلية لجلب الدعم للثورة ماديا وكمصدر لتأمين السلاح للثورة وخاصة ان السلطات الفرنسية حاولت خنقها عن طريق انتهاج سياسة غلق الحدود لإضعاف عملية تموين السلاح، أما الجبهة الثالثة فهي تحريك الآلة الدبلوماسية للثورة في العالم العربي الإسلامي وحتى الرأي العام الدولي وهي وسيلة لتوجيه الجماهير الشعبية لضرورة الإيمان بالثورة ومبادئها. [1]

وأول خرجات المدني كانت في الندوة الصحفية التي عقدت في 25 أفريل 1956 بفندق "كسيمراميس" بالقاهرة بحضور مختلف الوسائل الإعلامية الدولية وهنا تولى مهمة المترجم لمختلف تدخلات الوفد المتكلمين باسم الجبهة، مقدمين عرضا تفصيليا عن حالة الجزائر وشعبها، فظهوره رفقة فرحات عباس الذي أعلن إنضمامه المطلق للثورة إلى جانب مجموعة من أعضاء الجمعية برئاسة البشير الابراهيمي التي بذلك أجهضت كل الشكوك التي كانت تدور حولهم ومثلت في آن واحد نصرا سياسيا، لأن القيادات الوطنية تناست خلافاتها ولو بشكل نسبي ووقفت في جبهة واحدة ضد المحتل الفرنسي. [2]

فنشطت العملية الدعائية التي قادها المدني من خلال تحريك الآلية الإعلامية والندوات الصحفية التي نشطها فرحات عباس والأمين دباغين[3] فبادر المدني إلى تسجيل هذه الندوات بإذاعة صوت العرب، والذي كان يذاع بركن المغرب العربي بعنوان "وفد جبهة التحرير الوطني يخاطبكم من القاهرة" تحت إشرافه وتنشيط تركي رابح لعمامرة على هذا الأساس يكون المدني قد لعب دور مهما ومحوريا في هذا المجال وفي آن واحد عمل كمنسق بين أعضاء الوفد دون أن ننسى أن إتقانه للغة الغربية (الفرنسية) ساعده في أن يكون همزة وصل بين أعضاء الوفد خاصة في الندوات الصحفية التي تعتبر كمنبر لإيصال صوت الثورة وتبيان مبادئها. [4]

---

[1]- المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 128 وما بعدها.

[2]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 328.

[3]- الأمين دباغين: ولد سنة 1917 بحسين داي انخرط في ص فوف حزب الشعب الجزائري ثم جبهة التحرير الوطني وكان عضو في لجنة التنسيق والتنفيذ، عين مسؤول اللجنة التاريخية لجبهة التحرير الوطني ثم وزير للشؤون التاريخية في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الأولى في 1958.(للمزيد أنظر: مجلة الذاكرة، ص 240).

[4]- المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 130.

وعن مؤتمر الصومام[1] الذي قال عنه المدني قد أصبح هو ورفقائه بالقاهرة يعرفون صفتهم وحدد هذا المؤتمر وظيفتهم، لأنه أنهى حالة الاضطراب السياسي، فالمدني بعد مؤتمر الصومام أصبح ضمن المجلس الثوري ومن بين الأعضاء السبعة عشر الدائمين، فالمؤتمر هو انتصار سياسي لقيادة الثورة إلى جانب أنه أنصف المدني واعترف بمكانته وقيمة الدور الذي يلعبه. [2]

أما عن مقوفه من عملية اختطاف الطائرة التي كان على متنها خمسة اعضاء هو من أبرز قيادات الثورة وهي الحادثة التي جاءت بعد انعقاد مؤتمر الصومام، يقول المدني ويؤكد أن بن بلة[3] كان على علم وأن هناك مؤامرة تحاك ضد الوفد الخارجي للثورة وهذا ما أطلعه عليه فتحي الذيب المكلف بملف الثورة الجزائرية لدى الاستخبارات المصرية في الاجتماع الذي انعقد بمكتبه في 13 أكتوبر 1956، إلا أن أحمد بن بلة أصر على تنفيذ اوامر الجبهة، والمدني عند طرحه لهذه القضية يتناولها من زاوية تأثير عملية الاختطاف على مسار الثورة وصداها لدى الفئات الشعبية التي أوجدت إتحاد بين مختلف الفئات، ويبدو أن نظرته تذهب إلى أبعد من ذلك بحكم أن سجن كل من بن بلة ومحمد خيضر اللذان كانا متعارضين في وجهة النظر بالنسبة لقرارات المؤتمر وخلافها كان سيؤدي إلى انقسام داخل البيت الثوري، فالحادثة على حسب المدني خففت من وطأة ما سينتج عن الخلاف بينهما.[4]

بعد هذه الحادثة ستتضح مهام ودور المدني أكثر وبالاتفاق مع فتحي الذيب قام بمجموعة من الاجراءات وهي إجراءات لحفظ الديناميكية التي كانت تسير عليها الثورة وحفاظا على الوقف الشعبي ودعمه حيث تتضمنت:

- إذاعة بيان باسم الجبهة يطمئن فيه الرأي العام الشعبي وهذا عن طريق إذاعة صوت العرب.

---

[1]- مؤتمر الصومام: 20 أوت 1955 وهو أول مؤتمر يعقد بعد قيام الثورة حيث جاء كمؤتمر تنظيمي للثورة فأعطاها نفسا جديدا وأعاد هيكلتها، فالفضل يعود إلى المؤتمر في إنشاء مؤسسات وطنية وقيادة مركزية (للمزيد أنظر محمد تقية، الثورة الجزائرية الرمز والمثال، ص 236).

[2]- المدني ، حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق، ص 336.

[3]- أحمد بن بلة: ولد في 25 ديسمبر 1916 بمغنية واصل دراسته الثانوية بمدينة تلمسان، انخرط في حزب الشعب الجزائري ثم في حركة انتصار الحريات الديمقراطية ألقي عليه القبض سنة 1949 وحكم عليه بسبع سنوات سجن وفي 16 مارس 1952 فر من سجن البليدة والتحق بالقاهرة حيث كان عضو في الوفد التاريخي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية ثم ألقي القبض كافية في 22 أكتور 1956 وأطلق سراحه بعد وقف إطلاق النار وشغل منصب رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ثم أول رئيس بعد الاستقلال..للمزيد أنظر: مجلة الذاكرة، ص 237.

[4]- المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 213 وما بعدها.

- يقوم المدني بابلاغ مجلس الجامعة العربية بضرورة إعلان تضامنها مع الشعب الجزائري وثورته.
- إرسال برقيات إلى الأقطار المغاربية يؤكد من خلالها على ضرورة الوقوف إلى جانب الثورة الجزائرية وتحمل مسؤولية المناضبين المتواجدين على ترابها.
- ان يعقد المدني ندوة صحفية يندد فيها بالسياسة المنتهجة من طرف المستعمر وأن الحادثة لن ولم تأثر على تماسك الجبهة والجيش. [1]

وبالفعل قام المدني بإذاعة هذا على أمواج إذاعة صوت العرب، بتاريخ 23 اكتوبر 1956 والذي أكد فيه أن الثورة ليست ثورة أشخاص فهي ثورة شعب، كما أذاع دعوة إلى الأمة العربية داعيا إلى الاضراب الذي تحقق يوم 28 أكتوبر 1956 فبين موقع الثورة الجزائرية ومكانتها في العالم العربي ثم أذاع المدني شكرا على هذا الموقف باسم الأمين دباغين جاء فيه «..أيتها الأمة العربية الماجدة باسم جيش التحرير الوطني وباسم جبهة التحرير الوطني يرفع الوفد الجزائري شكره العميق وإمتنانه للأمة العربية في كل أجزاء الوطن العربي الكبير...إن إضراب اليوم كان استفتاءا عارما أظهر للعالم أجمع متانة الوحدة العربية»[2]

إبتداءا من سنة 1957 أطر المدني نشاطه في الوفد الخارجي للثورة وفي المكتب السياسي الذي تم تشكليه في القاهرة وعين رئيسا له، هذا المكتب الذي كان بمثابة السلطة التنفيذية بحكم أنه يقوم بتنفيذ قرارت لجنة التنسيق التي حددت مهامه في إطار العلاقات مع الحكومة المصرية والجامعة العربية وكل ما يتعلق بالسلك الدبلوماسي المعتمد بالقاهرة كما أوكلت له مهام الدعاية للثورة عن طريق الصحف والإذاعة بالإضافة إلى الاهتمام بشؤون الطلبة بمصر. [3]

المميز أن المدني بالرغم من هذه المهام إلا أنه لم يتخلى على مهمته الأساسية له وهي الدفاع عن القضية الجزائرية عن طريق التأليف فجاء كتاب هذه هي الجزائر سنة 1956 «..أنا لم أكتبه للدعاية إنما كتبته لتسجيل الوقائع وتعريفها عالميا بهذا العطر وبهذا الشعب هذه الأمة التي أدهشت العالم بجهادها...».[4]

---

[1]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 336.

[2]- المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 220 وما بعدها.

[3]- فتحي الذيب، عبد الناصر وثورة الجزائر، د ط، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص 268 وما بعدها.

[4]- المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 268 وما بعدها.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن المدني من خلال تواجده بالوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني ترجم عمليا مختلف المبادئ النضالية والثورية التي نقرأها من خلال مؤلفاته والتي صرح في العديد من المرات وهي أيضا تجسيد لموقفه من سياسة الاستعمار وضرورة مجابهته.

ب- نشاطه في الوفد الدبلوماسي:

نشط المدني في السلك الدبلوماسي فمثل بذلك القضية الجزائرية في إطار قضايا المغرب العربي، وهذا في دوائر عديدة، الأولى منها في القاهرة منذ شهر أفريل 1956 كما ذكرنا سابقا، قام المدني بمهام سياسية أخرى في البلدان العربية والغربية في الفترة الممتدة 1956-1958 نشط فيها ندوات دعائية لمؤازرة الثورة الجزائرية بحكم أنه التقى مختلف القيادات السياسية لهذه البلدان خاصة بلدان المشرق منها، مثلا العراق، لبنان، السعودية فهو استطاع بخبرته أن يكسب تعاطفا ودعما ماديا منها لكن الأهم هي زياراته إلى مناطق الجوار: تونس، ليبيا، المغرب الأقصى هنا تمكن من ربط هذه الأقطار بما يحصل في الجزائر بالرغم من أنها في مرحلة القادمة ستحصل على إستقلالها. [1]

ففي ليبيا نشط المدني خبرته لتفعيل عملية إمداد الجزائر بالأسلحة التي كانت تدخلها عبر الصحراء وهذا جاء كنتيجة لمجهودات الوفد الذي كان يتكون من أحمد توفيق المدني الأمين دباغين منذ شهر ماي 1956، ونتيجة للعدوان الثلاثي[2] توترت العلاقات المصرية الليبية وتم غلق الحدود، وتعطلت عملية الإمداد بالأسلحة هذا إلى ضرورة انتقال المدني إلى طرابلس في 9 ديسمبر 1956 ومقابلة القيادة الليبية واتفق معها على إعادة فتح الحدود بالرغم من الضغوطات من الجبهة الشرقية. [3]

أما المغرب الأقصى فقد كان حالة خاصة كما يذكر بسبب توتر العلاقات بين البلدين لأن الخلاف كان قائما بسبب قضية الجالية الجزائرية اللاجئة بالمغرب الأقصى ومشكلة السلاح اضافة مشكلة الحدود التي كانت تطالب بها السلطات المغربية في كل مناسبة، ويؤكد المدني أنه وبمعية دباغين كانت مساعاهما تتعديان كل هذه الخلافات وهي صراعات إيديولوجية فرضتها سياسة المستعمر الرامية إلى زرع الفرقة بين الأقطار المغاربية وهذا ما ترجمه في زيارته في إطار مهام الوفد الدبلوماسي إلى

---

[1]- المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 371.

[2]- العدوان الثلاثي: 1956 وهو عمل مشترك بين فرنسا وبريطانيا واسرائيل ضد مصر سببه هو محاولة استرجاع قناة السويس.

[3]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 342.

المغرب ولقاءه مع الملك المغربي حيث تم تسوية الخلاف ويؤكد أنه استطاع إيضاح مساعي جبهة التحرير الرامية إلى الاستقلال في إطار المغرب العربي دون إنفصال أي جزء من أجزائه وهذا ما يتضح من خلال المقترح الأمريكي لحل المشكل الجزائري. [1]

اما تونس مثلت مرحلة مهمة في نشاط المدني السياسي على صعيد الجبهات الخارجية والتي تعرضت في البداية إلى بعض المشاكل، خاصة بعد مؤتمر الصومام حيث لم يقبل أحمد محساس التعامل مع قيادته أو مع القيادة التي أفرزها المؤتمر، وهذا ما جعل السلطات التونسية تتخذ موقفا سلبيا منه مما جعل المدني يتحرك من القاهرة ويتصل بالسفير التونسي الصادق مقدم والضغط عليه لكي يغير موقفه من ممثلي الثورة ومطالبهم لكن موقفه يظهر أكثر في قضية ساقية سيدي يوسف 1958[2] التي خلفت مشكل بين تونس والجزائر وهذا ما أدى إلى إعادة فتح الاتصال بين الوفد الجزائري بقيادة توفيق المدني ودباغين وممثل الجبهة بالمغرب محمد خير الدين والذين تمكنوا من قطع الطريق أمام المخابرات الفرنسية التي أرادت خلق ازمة جديدة بين البلدين من وراء حادثة ساقية سيدي يوسف[3]

ومن هنا يمكن القول أن أحمد توفيق المدني من خلال جولاته في مختلف البلدان العربية والغربية في إطار مهامه الدبلوماسية إستطاع أن يوصل صوت القضية الجزائرية التي كانت في الأساس صوت المغرب العربي كله بحكم أنها ترمي لوجود دولة جزائرية مستقلة في إطار هذا القطر الكبير.

ج- في الحكومة المؤقتة:

انبثقت الحكومة المؤقتة الجزائرية في ديسمبر 1958 بقرار من لجنة التنسيق والتنفيذ خلال الاجتماع الثاني في مجلس الوطني للثورة حيث تاخر الاعلان عن هذه الاخيرة إلى غاية اواخر ديسمبر 1958، وهذا بسبب الخلاف الذي كان موجودا بين القيادات الوطنية خاصة وأن الهيئة المصرية لم تكن موافقة على قرار أن يكون فرحات عباس رئيسا لها لانها كانت تنظر اليه بنوع من الحذر وترى فيه اختراقا سياسيا لثورة [4]

---

[1]- المدني حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 340.

[2]- المصدرنفسه ، ص 366 وما بعدها.

[3] - FRANCOIS. Perret, location du comite international de la croix rouge pendant la guerre d'Algérie (1954-1962), archives du RicR, N86, SP, 2004, SP.

[4]- المدني حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 367 وما بعدها.

إن تشكيل حكومة جزائرية على هذا الشكل ومن هذا النوع في وقت تغير السياسة الفرنسية أو ما تدعى بسياسة الجمهورية الخامسة وهذا ما أكده علي كافي من خلال مذكراته:«...إنه على الرغم المأخذ على تشكيل الحكومة إلا أنها اعتبرت حدثا تاريخيا وبعثا للدولة الجزائرية انتقاما ساطعا من لطخة سيدي فرج ذلك أن شعب المهتم بكل ما يرجع له كرامته، فقد استقبل النبأ بكل حماس وفرحة، إذ للمرة الأولى منذ 1830 تولد حكومة بجهد الشعب الجزائر» [1].

في حين أنها تلقت الاعتراف عديد من الدول في طليعتها مصر، سوريا، تونس والعراق ليبيا حيث ان هذه الحكومة كل التيارات السياسية التي انضوت تحتها[2] هذا ما عرضه فتحي الذيب في تحليل لشخصيات الحكومة المؤقتة الجزائرية"... من أعضاء جمعية العلماء الجزائريين الذين انضموا إلى الثورة بعد قيامها مؤرخ عربي الأصل والتفكير والثقافة والاتجاه، مخلص لعروبته وبلده يقف بعيدا عن التيارات المتصارعة وإن كان يوافق على رأي الأغلبية بغض النظر عن قناعته الشخصية[3].

أما عن نشاط المدني في الحكومة المؤقتة فقد أسندت له مهام أقل ما يقال عنها كانت حصيلة لمجهوداته وتطلعاته الإصلاحية البحتة، فكان وزير للشؤون الثقافية[4] حيث رافع من خلال هذا المنصب على ضرورة إيجاد جيل ما بعد الاستقلال الذي قاعدته الأساسية التعليم لذلك طالب رفع الحجر عن جامعة الجزائر الذي فرض بعد إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 وتجسيد مطلب المدني في شهر أكتوبر 1958[5].

ومن خلال هذا المنصب حاول المدني دراسة مشاكل الطلبة في جميع الدول خاصة في مصر تونس والمغرب وسوريا وقام بتشكيل لجنة علمية وفنية لدراسة برامج التعليم في الجزائر وتطويرها«...أريد في الجزائر الغد القريب، طائفة صالحة متخرجة من كل الجامعات الدنيا من أقصى

---

[1]– علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري، 1946–1962، ط خ، دار القصبة الجزائر 1999، ص 225.

[2]– دون كاتب، "الاعترافات الدولية الأولى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزئرية،" م الذاكرة، الثالث، منشورات المتحف تلوطني للمجاهد الجزائر، 1995، ص 231

[3]– فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 394.

[4] – أنظر الملحق رقم 5، ص 130.

[5]–المدني حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، 404.

مشارقها إلى أقصى مغاربها حتى نتمكن من الإفادة من مجموع أوجه النشاط الفكري والعلمي في العالم ونأخذ من كل طريقة أحسنها وأكثرها فائدة للقطر الجزائري».

وفي إحدى النقاشات بين أعضاء الحكومة تعرض المدني إلى اتهامات من طرف عبد الحفيظ بوصوف[1] فاتهمه بأن سياسته في الوقوف مع الطلبة هو تشجيع منه على النفور للمعركة في حين أن الثورة هي بحاجة إلى الالتفاف هذا النوع من الفئةحولها:«...إن الطلبة الجزائريين الذين يتخلفون عن المعركة ويتوارون عنها، وهم يلتفون حولك وانت تحميهم وتكون لهم المنح الدراسية وتنشطهم على الفرار من المعركة هؤولاء الطلبة المنبثون في كل بلادهم ضلع كبير في هذه الحالة السيئة» [(2)].

فكان رد المدني على هذه الاتهامات في صبغة تشكك بالحكومة فهي على حساب تصريحاته بقدر ما شكلت ذلك الكيان السياسي الموحد فقد عبرت في ان واحد على أنها ظرفية سياسية محضة وهذا ما تؤكد في شهر أكتوبر 1959 أين جاء المقترح القاضي بتعيين مجلس وطني للثورة من جديد وفي الاجتماع المنعقد في 22 جانفي 1960 ومن خلاله تم تعيين المدني سفيرا بالقاهرة[(3)] وعن هذا علق المدني «...وهكذا أصبحت منعطفا ولحسن الحظ بمسؤولية محددة أقوم بها بعيدا إلى حد ما عن الدسائس والفتن والمناورات...دخلت في الوسط الدبلوماسي من أوسع أبوابه»[(4)]

ومن خلال هذا المسار النضالي الجديد في السلك الدبلوماسي وابتداء من أوت 1962 حيث تصارعت ثلاث قوى سياسية حول من له الأحقية في تزعم حكومة الاستقلال وهذا ما نقله لنا المدني في إحدى لقاءاته مع بن يوسف بن خدة الذي أكد له أن الخلافات مزقت جسد القيادة الوطنية[(5)] والملاحظ ان معظم الصراعات التي كانت موجودة في الثورة والتي جسدت بعد مؤتمر الصومام، نجد ان المدني كان بعيدا عنها بالرغم من أنه كان من الأعضاء الفاعلين في الجناح السياسي ولحسن الحظ أن هذه المشاكل ضلت على مستوى القيادة ولم تصل إلى الأواسط الشعبية، والقضية التي تطرح نفسها هي كيف لم تستغل السلطات الفرنسية هذا الوضع لصالحها؟.

---

[1]- عبد الحفيظ بوصوف: (1926-1982) من أعضاء حزب الشعب ثم المنظمة الخاصة 1947 ولجنة التنسيق 1957 شغل منصب وزير للأسلحة العلاقات العامة في الحكومة المؤقتة (للمزيد أنظر: مجلة الذاكر، المرجع السابق، ص 236 وما بعدها).

[2]- المدني حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 438.

[3]- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 358.

[4]- المدني، حياة كفاح ، ج3 ، المصدر السابق، ص 500.

[5]- المصدر نفسه.ص 502

3-صدى الثورة على المستوى المغاربي:

إن صدى الثورة الجزائرية ومدى تأثيرها على البلدان المغاربية نجده قد تبناه بيان أول نوفمبر 1954، هذه الوثيقة بينت المعالم الكبرى للدولة الجزائرية ما بعد الاستقلال، كما بين ايدولوجية الثورة وان الاستقلال لا يكون إلا بتحرر كل الأقطار المغاربية وهذا ما نجده في الفقرة الأولى من نص، كما ضمن المبادئ الإسلامية للدولة الجزائرية التي استغلت كأداة لتحريك الجماهير وضمان الالتفاف حول الثورة بحكم أن قاعدتها اجتماعية معروفة بتحفظها وقد استهدف البيان وحدة الشمال الإفريقي وحدد الانتماء للدائرة المغاربية التي تعتبر هوية الشعب الجزائري[1].

احتوت البلدان المغاربية الثورة الجزائرية واعترفت بها واعتبرها معركة واحدة وهذا يدخل ضمن تكريس مبادئ التضامن والمصير المشترك وبحكم أن منطقة المغرب العربي كانت تحت السيطرة الاستعمارية ككل، فتونس مثلا رفضت بعض القياداتها بمطلب فرنسا لتسوية أوضاعها مقابل وضع السلاح وحصول تونس على استقلالها الذاتي وتأكيد منها على التضامن التونسي مع الجزائر في ثورتها المجيدة حيث رفضت هذا المطلب، وجاء هذا كدفاع عن الإستراتيجية المغاربية الموحدة فبقدر ما كانت القضبة التونسية في أمس الحاجة إلى تحرك الجزائريين بقدر ما كانت الثورة الجزائرية في أشد الحاجة إلى الدعم التونسي، وما نلاحظه ان البعد المغاربي للثورة كان تأكيدا على رفض السياسة القطرية ويظهر هذا من خلال عملية التسليح رغم السياسة الفرنسية التي عملت على فصل الحدود بين البلدين بغقلها في العديد من الفترات[2].

ويؤكد المدني هذا الطرح فموقف تونس من الثورة على حد قوله كان موقف صريح فمن خلاله تم إثبات أن فرنسا فشلت مشاريعها في المنطقة أمام دعوة جبهة التحرير على ضرورة الضغط على تونس في عدم تقبلها لأي مساومات أو إغراءات من الحكومة الفرنسية لهذا تم تنشيط السلك الدبلوماسي الجزائر ومن ثمة إنشاء اللجان الشعبية لتأييد الثورة[3].

---

[1]- رابح لونيسي ، دراسات حول ايدولوجيات تاريخ، ط1، كوكب العلوم، الجزائر، 2012، ص 46 وما بعدها.

[2]- عبد الله مقلاتي وصالح لميش، تونس والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج2، ط خ، دار الزيبان الجزائر، د ت، ص 25.

[3]- المدني حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 415.

ليبيا هي الأخرى احتوت الثورة الجزائرية وكان لها دور كبير في تأمين جهة الجنوب الشرقي للثورة ومن بين المواقف المبكرة لهذا: موقف الوزارة الخارجية الممثلة في خير الدين حسونة الذين ساند حمدان خوجة في باريس ودعمه في معارضته للإدارة الفرنسية، أما الدعم بالنسبة للثورة في إطاره العام فقد كان متعدد الأوجه فليبيا احتضنت الثورة عن طريق الصحراء التي كانت منفذا حدوديا لجلب السلاح، ويظهر خاصة بعد تأزم العلاقات الليبية المصرية، إلا أن هذا التأثير المتبادل لما كان يحصل في البلدين بدا عند الاحتلال الايطالي لليبيا 1910 والذي كان له صدى في الجزائر حيث تم جمع المعونات لدعم المقاومة، وما يجدر الإشارة إليه أن بعد الحرب العالمية الثانية ناصرت كل من ليبيا والجزائر قضايا التحرر التي هي في الأساس قضية مشتركة بينهما، وهذا جاء كنتيجة لاحتكاك النخب السياسية ببعضها البعض التي عززت الاتصال بين قادة البلدين فأكدت الجبهة على أن ليبيا جزء حساس من المغرب العربي ويجب أن يكون دوره ومكانته لصالح الثورة الجزائرية، وهذا لا يتجسد إلا من خلال السياسة الخارجية للحكومة الليبية خاصة بعد ان منح لها الاستقلال. [1]

وصدى الثورة الجزائرية يظهر أكثر من خلال الدعم الجماهيري وكذا الدعم الذي قدمه رجال الفكر والعلم والصحافة أمثال الهادي إبراهيم المشرقي الذي اهتم بالثورة منذ بدايتها حيث أخذ على عاتقه مهمة ايصال صوت الجزائر إلى البلدان المشرقية منذ شهر ماي 1956 وقام بإرسال برقيات إلى العواصم العربية بالمشرق يذكر فيها بضرورة مناصرة الثورة الجزائرية، بالاضافة إلى جمع التبرعات لمساعدة الهلال الأحمر الجزائري لصالح الثورة، كما شكل لجنة لإعانة جيش التحرير منذ ماي 1956. [2]

أما المدني فيؤكد على هذا من زاوية أن ليبيا كانت ممرا شرقيا للثورة والقيادة الليبية تعاونت مع الثورة الجزائرية إلى حد بعيد فيعد حوادث العدوان الثلاثي على مصر تم غلق الحدود وهنا يتضح مدى إيمان الليبيين بثورتنا المجيدة حيث أكد الطرف الليبي الممثل في علي الجربي الذي أكد على ان ما يحصل لن ولم يؤثر في موقف الحكومة الليبية من الثورة الجزائرية ويؤكد المدني أن خطاب الليبيين بين أن القضية هي قضية الجميع لن يتفانى كل عربي مسلم في خدمتها، كما أكد الجربي

---

[1]- عبد الله مقلاتي وصالح لميش، ج3، المرجع السابق، ص 13 وما بعدها.

[2]- محمد بلقاسم وآخرون، القواعد الخلفية للثورة الجزائرية، الجبهة الشرقية 1954-1962 سلسلة المشاريع الوطنية، ط خ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007، ص 83 وما بعدها.

أن حكومة ليبيا هي حكومة الجزائر، إذن فموقف الليبيين كان مشرفا ومساندا للثورة وصداها هو ترجمة فعلية لهذا الموقف.[1]

و المغرب الأقصى فقد مثل مكانة خاصة بالنسبة للجزائر وثورتها فمنذ سنة 1912 حيث اثر الاحتلال في العلاقات الجزائرية المغربية ووضعها على المحك بسبب المناوشات الحدودية إلا أن المغرب الأقصى بموقعه الاستراتيجي مثل مكانا مهما للثورة الجزائرية، فالمقاومة المغربية اندلعت بتأثير من الثوريين الجزائريين وهنا نلاحظ أن كل من الطرفين أراد توحيد المعركة ضد المستعمر فهذا النضال المشترك ولد استقلال المغرب الأقصى سنة 1956 وكذلك نجد أن المغرب الأقصى هو الجبهة الغربية لتمويل الثورة بالسلاح، والملاحظ أن العلاقات في كثير من الأحيان وصلت إلى طريق مسدود بسبب تدخل السلطات الفرنسية وسياستها المحكمة في زرع التفرقة وما يمكن قوله أن الثورة الجزائرية بمبادئها اصرت على إقناع رجال الحركة الوطنية المغربية أن العمل السياسي يجب أن يتواقف مع العمل العسكري فهو الكفيل على إرغام فرنسا لمنح الاستقلال للأقطار المغاربية، ويظهر هذا عندما اختارت قيادة الثورة الذكرى الثانية لنفي محمد الخامس في هجومات الشمال القسنطيني وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى ترسيخ مبادئ الثورة وتبلورها في المغرب الأقصى وهو في آن واحد تأكيد على حسن نية ما كانت تدعو إلى جبهة التحرير وكذالك إجهاض للمشروع الفرنسي حيث أعلنت فرنسا عن مفاوضات "إكس لبان" في 20 أوت 1955 والتي أرادت من خلاله منح الاستقلال الداخلي للمغرب الأقصى. [2]

لكن ومن خلال منظور المدني فإن موقف المغربيين هو الذي ترجم مدى تأثير الثورة في نضال المغاربة فبرغم من الخلاف الضمني بين الطرفين حول الأهداف والمساعي الذي كان سببه تلك الشائعات حول جبهة التحرير التي بينت أنها تسير بمنحى شيوعي أو بمعنى اصح أنها كانت تهدف لتحقيق مصالح شيوعية، فالمدني يؤكد على أن الثورة هي ثورة إسلامية مطهرة وجيشا مجاهد في سبيل الله وهو يعمل على وحدة المغرب العربي وهذا وما أرادت الدبلوماسية الجزائرية أن توصله إلى قيادة المغرب الأقصى حيث مثلها المدني بنفسه في غالب الأحيان وفي منحى آخر نجد أن المغرب الأقصى برغم من كل الخلافات دعم الثورة الجزائرية بالسلاح وهذا ما تجسد في إحدى لقاءات المدني مع الملك المغربي للاتفاق على صفقة شراء السلاح المهربة عن طريق التراب المغربي، ومن جهة أخرى

---

[1]- المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 916.

[2]- عبد الله مقلاتي وصالح الميشي، ج1، المرجع السابق، ص 33 وما بعدها.

فالمغرب احتوى الطلبة الجزائريين في مدارسه وثانوياته معاهده حيث أحيطوا بعناية خاصة من طرف الحكومة الملكية المغربية، ويفضل الاتحاد العام المغربي للشغل الذي بدوره أوجد دارا بالرباط للطلبة الجزائريين.[1]

ومما تقدم ذكره يتضح لنا أن ثورة أول نوفمبر التي اندلعت في ظروف استثنائية استطاعت تثبيت مطالب الاستقلال وتوحيد جبهة الكفاح المغاربي المشترك سياسيا وعسكريا فهي دعمت أفكار الأمير عبد الكريم الخطابي التي كانت تدعوا إلى وحدة المعركة المغاربية، وعلى الصعيد العسكري بعثت الثورة الجزائرية مشروع الكفاح العسكري المغاربي تشترك فيه جيوش تحرير الأقطار المغاربية الثلاثة، فمبدأ الثورة في ذلك انطلق من فكرة تنشيط الحدود وتنشيط جبهتي الريف المغربية ووهران الجزائرية منذ أكتوبر 1955 ثم أن الإعلان عن تأسيس جيش تحرير المغرب العربي جعل فرنسا تبادر إلى رسم سياسة جديدة منحت من خلالها الاستقلال لكل من تونس والمغرب الأقصى وهذا كسياسة منها واستراتيجية لخنق ومحاصرة الثورة الجزائرية.[2]

وهذا يعني أن نجاح الثورة والحصول على الاستقلال يتطلب حتما ضرورة تحرير كل من المغرب وتونس لأن كل الأقطار المغاربية كانت فضاء للثورة الجزائرية خاصة من جانب تهريب الأسلحة وتزويد الثورة بها دون أن ننسى الجانب السياسي.[3]

---

[1]- المدني حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 423 وما بعدها.

[2]- عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية 1954-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2012، ص 26 وما بعدها.

[3]- سهيل خالدي، جيل قاسما تأثير الثورة الجزائرية في الفكر العربي المعاصر، ط1، المؤسسة الوطنية، 2007، ص 45.

خاتمة

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره وتحليله في مذكرتنا هذه والتي حاولنا من خلالها الإجابة على الإشكالية الرئيسية والتساؤلات المطروحة في بحثنا والمتمثل في القضايا المغاربية من خلال كتابات أحمد توفيق المدني، حيث تطرقنا إلى نشأة المدني ونضاله في تونس والجزائر مكننا من معرفة المنطلقات الأولى لبداية مسيرة أحمد توفيق المدني الغنية بالأحداث والتجارب المتنوعة.

والنتائج التي توصلنا اليها من خلال البحث في مسيرة هذه الشخصية الفذة في مختلف الميادين السياسية والثقافية، إذ قمنا باستعراض النتائج على النحو الآتي:

– إن المدني نشأ في بيئة متميزة ذات أصول تربوية وأخلاقية متنوعة مما لعب دور في تشكيل شخصية هذا الرجل وبروزه في المجال السياسي والعلمي وعلى الصعيد الوطني والمغاربي وحتى العربي.

– ناضل المدني في تونس وحمل هموم إقليمه، فقد كانت مركز ثقافي لأنها تمتعت بنوع من الحرية في ظل نظام الحماية، مقارنة بما هو سائد في الجزائر، مما سمح له بتكوين ثقافي متين في علوم القرآن واللغة وآدابها وأيضا إتقانه للغة الفرنسية حيث ساعدته على الإطلاع على الثقافة الأجنبية.

– علاقة المدني بالصحافيين وكتاب والشعراء كان لها أثر في ظهور شخصيته ودخوله في مجال الصحافة، كما إن سجنه في سن مبكرة حوله إلى مناضل سياسي، وبعد خروجه منه انخرط في الحياة السياسية بتونس فكسب تأييد سياسي حيث ردت عليه السلطات الاستعمارية بنفيه إلى الجزائر سنة 1925، لكن نفيه كان خسارة لتونسيين نعمة للجزائريين التي إستفادت من نشاطه وتجربته النضالية فبعد وصوله إليها واضطلع على أوضاع الجزائر السائدة وإتصاله بأقطاب الإصلاح بها حيث أسس أهم نادي ثقافي عرفته الجزائر وهو نادي الترقي 1927 رفقة أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تحول إلى حركة ثقافية وسياسية واسعة لأبناء الجزائر حيث بدأوا يتطلعون إلى مستقبل جديد، كما قام المدني بتاسيس العديد من المشاريع الوطنية مثل جبهة الدفاع عن الحرية التي ظهرت بعد مجازر 8 ماي 1945 وكذلك مشاركته في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي من خلالها وطد علاقته مع رجال النهضة أمثال عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي.

– أما موقف المدني من الاستعمار في الجزائر وكامل الأقطار المغاربية بتسخير كل إسهاماته السياسية على الساحة المغاربية وإمكانياته وطاقاته لدفاع عن هذه البلدان المغاربية من براثين الاستعمار الغاشم ففضح أساليب المستعمر وأيقظ الوعي الجماهيري المغاربي، مم جعل المدني محل مراقبة من طرف الإدارة الاستعمارية واعتبرته من العناصر الخطيرة.

– كما كان للمدني دور كبير في الدفاع عن مقومات الهوية المغاربية لغويا ودينيا حيث حارب بشدة سياسة التجنيس وبين الخطر الذي يهدد الأمة المغاربية من وراء هذا المشروع، أما عن الطرق الصوفية التي إعتبرها من القضايا الحساسة التي رأى فيها الإصلاح والتي تعتبر عامل مشترك بين الأقطار المغاربية، وعن قضية الظهير البربري التي كانت تهدف إلى إخراج المغربيين عن تعاليم الدين الإسلامي إذ نجد المدني يؤكد على التمسك بدينهم الحنيف ولحمة المغرب العربي.

– كما أظهر المدني إهتمام بليغ لقضية الوحدة المغاربية بهدف تحقيق الوحدة الشاملة في إمتدادها الجغرافي،التاريخي، الحضاري، وكان من بين الذين حملوا شعار الوحدة من خلال مؤلفاته خاصة من خلال كتاب القطر الجزائري حيث أكد على الوحدة بالإعتماد على المجال الجغرافي ومكانة الجزائر بالنسبة للأقطار المغربية ولم يفوت أي مناسبة إلا وقام بتبليغ رسالته النضالية ذات المضامين الوحدوية.

و نلاحظ ان فكرة الوحدة كانت مغروسة في ذهنه منذ بداياته إذ نجدها من خلال نجم شمال افريقيا وجمعية العلماء المسلمين وأيضا من خلال رحلاته في الوفد الدبلوماسي.

– كان للمدني دور فعال في الثورة التحريرية الكبرى 1954 – 1962 فانضم رسميا لجبهة التحرير الوطني 1956 وكان لإنضمامه دور إيجابي من خلال توظيف قلمه في صحيفة البصائر محملا الاستعمار عواقب سياسيته الممارسة ضد الشعب الجزائري، كما شغل المدني منصب أمين عام لجمعية العلماء المسلمين وبحكم صلته الوثيقة بالبشير الإبراهيمي طلب منه إصدار بيان التأييد الثورة انطلاقا من القاهرة حيث كان يتواجد، والغريب أننا نجد بعض المندفعين يلقون اللوم على العلماء ومن بينهم أحمد توفيق المدني على عدم أخذ موقف مؤيد للثورة.

و نتيجة لجهود وإمكانيات المدني قامت قيادة الثورة بإصدار قرار إلتحاقه بالوفد الخارجي بهدف تدعيمه بتجارب النضالية.

و أخيرا نستنتج أن رغم تقدم المدني في السن لم يتوان في عهد الدولة المستقلة في في خدمتها على كافة المستويات والأنشطة التي تنقل من خلالها مابين الوزارة والسفارة ومنصب المستشار.

أن هذه الشخصية لم تعرف كلل ولا ملل في مواجهة الأخطار الاستعمارية لدفاع عن القضايا المغاربية عامة والوطنية خاصة، ورغم الجهود التي قدمها على مدار سبعين سنة خدمة للوطن والتاريخ إلا أنها لا تزال في طي النسيان ولم تحظى بقدر ممكن من الإهتمام من بعض الجهات.

و من جهة أخرى فإن الإرث الثقافي والفكري الذي تركه المدني للجزائر والمغرب العربي ككل يجعل منه تعبيرا واقعيا وصادقا عن هذه المنطقة والتي هي في آن واحد صورة حقيقية عن قضايا مغربنا الكبير حيث تمس بشكل خاص هوية هذا القطر.

ملاحق

الصور:

الملحق رقم 1





صورتين تمثلان أحمد توفيق المدني ومحي الدين القليبي.[1]

[1] – المدني، حياة كفاح، ج1، مصدر سابق، ص 224.

الملحق رقم2





صورة للمدني، بعد خروجه من السجن بعد سنة 1915 رفقة الشهيد أحمد حميدي العطار.





صور المدني بعد خروجه من السجن 1918 مرفقة بصورة لأهم أقطاب المدرسة الخلدونية..[1]

[1] – المدني، حياة كفاح، ج1، مصدر سابق، ص 343.

التقارير والرسائل

الملحق رقم 3

التقـــرير الثـــاني
من الاقامة العامة الفرنسية بتونس
الى وزارة الخارجيـــة
بعـــد ابعـــادي عن تونس

9 جوان 1925 – رقم 1278

أحمد توفيق المدني ، صحفي ، وعضو ذو نفوذ باللجنة المركزية ، هو روح الحركة العملي ، ومغرم بحزب الدستور .

انه جزائري الاصل ، ويبلغ من العمر ما بين 27 و 28 سنة . ولقد كان معتقلا أثناء الحرب العالمية ببلدة في أقصى الجنوب التونسي ، بامر من المقيم العام مسيو الابتيت (1) من أجل انشاء معلقات ثورية تحمل حملة بلغت أشد القسوة ضد فرنسا (2) .

ولقد كان يومئذ مشتهرا بتعلقه بالاتراك وبالجرمانيين . ثم انه ابن وقريب لعائلات تونسية مستقرة باستانبول .

ان اعتقاله اثناء الحرب العالمية لم يرجع له عقله ، فما انتهي ذلك الاعتقال حتى رايناه يستانف النشاط السياسي الى جانب عبد العزيز الثعالبي . وبعد أن غادر الثعالبي تونس ، أصبح هو عمدة حزب الدستور، من غير أن تكون له ادنى وظيفة رسمية في لجنة الحزب (3) التي كان يذكي فيها روح الشجاعة ويبعث فيها النشاط .

ان جهوده الانفرادية جد مقلقة ، وان معاداته لفرنسا تجعله يغتنم كل الفرص الممكنة لاظهار تلك العداوة .

أما الفكرة الدعائية المفضلة لديه فهي : ان فرنسا ما جاءت تونس قصد ادخالها في مضمار المدنية ، بل انها جاءت من أجل الثروة والاستغلال فحسب . وان فرنسا لا تريد في النهاية الا الحاق تونس بممتلكاتها .

تقرير الإقامة العامة الفرنسية التونسية لإقرار نفي المدني إلى الجزائر. [1]

[1] – المدني، حياة كفاح، ج1، مصدر سابق، ص 343.

الخرائط

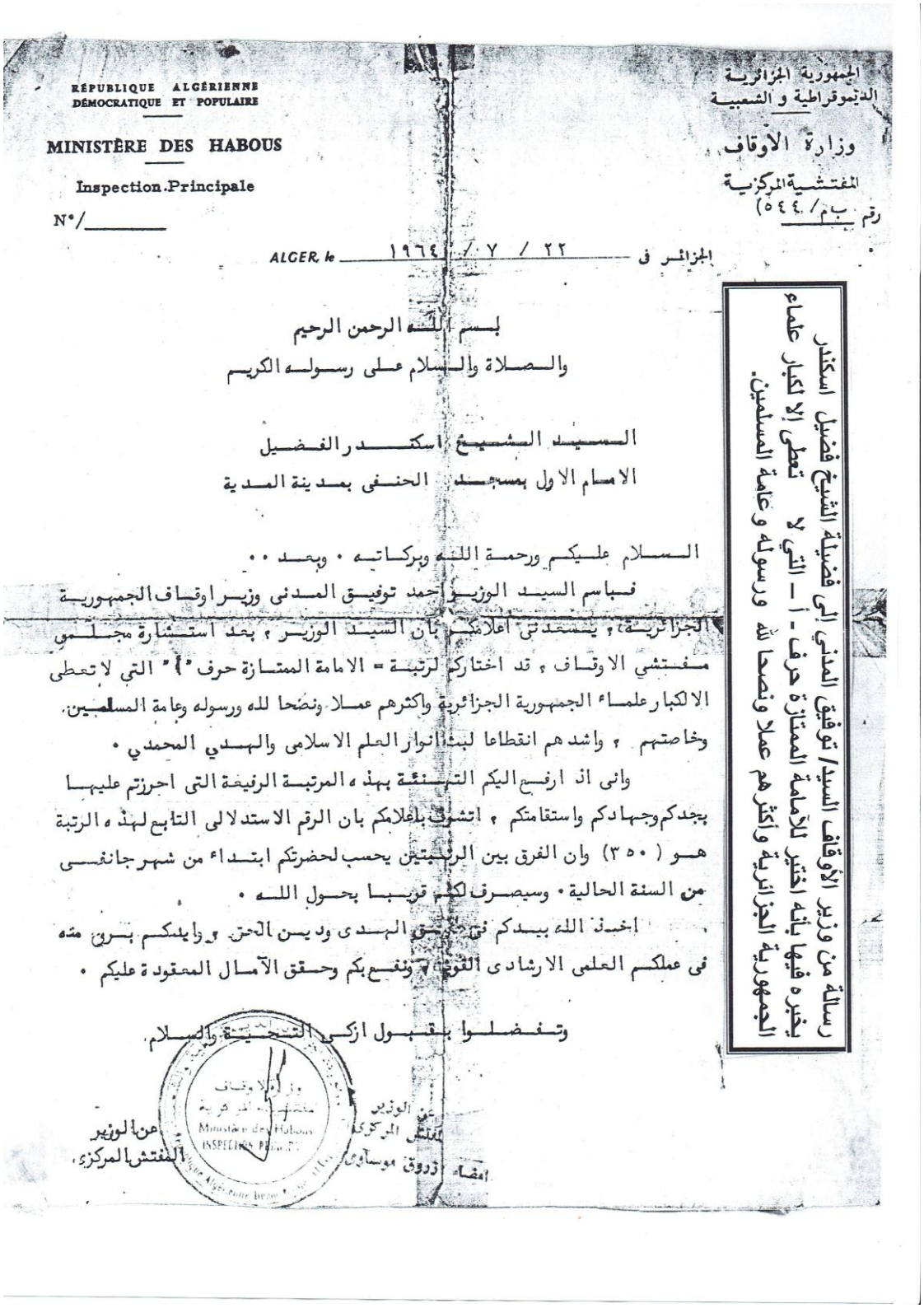
الملحق رقم 4



خريطة تمثل الحركة الاستعمارية في شمال إفريقيا وباقي أقاليمها.[1]

[1] – يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 23.

الملحق رقم 5



الجمهورية الجزائرية
الديموقراطية و الشعبية

وزارة الاوقاف

المفتشية المركزية

رقم ب م/ ٥٤٤

RÉPUBLIQUE ALGÉRIENNE
DÉMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTÈRE DES HABOUS

Inspection Principale

N°/

ALGER le ١٩٦٤ / ٧ / ٢٢ الجزائر في

رسالة من وزير الأوقاف السيد/ توفيق المدني إلى فضيلة الشيخ فضيل اسكندر يخبره فيها بأنه اختير للامامة الممتازة حرف - أ - التي لا تعطى إلا لكبار علماء الجمهورية الجزائرية وأكثرهم عملا ونصحا لله ورسوله وعامة المسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسوله الكريم

السيد الشيخ اسكندر الفضيل

الامام الاول بمسجد الحنفي بمدينة المدية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ..

فباسم السيد الوزير أحمد توفيق المدني وزير اوقاف الجمهورية الجزائرية ، يسعدني اعلامكم بان السيد الوزير ، بعد استشارة مجلس مفتشي الاوقاف ، قد اختاركم لرتبة = الامامة الممتازة حرف "أ" التي لا تعطى الا لكبار علماء الجمهورية الجزائرية واكثرهم عملا ونصحا لله ورسوله وعامة المسلمين وخاصتهم ، واشدهم انقطاعا لبث انوار العلم الاسلامي والهدي المحمدي .

وانى اذ ارفع اليكم التهنئة بهذه المرتبة الرفيعة التي احرزتم عليها بجدكم وجهادكم واستقامتكم ، اتشرف باعلامكم بان الرقم الاستدلالي التابع لهذه الرتبة هو (٣٥٠) وان الفرق بين الرتبتين يحسب لحضرتكم ابتداء من شهر جانفي من السنة الحالية . وسيصرف لكم قريبا بحول الله .

اخذ الله بيدكم فيما فيه رضى الهدى ودين الحق ، وايدكم بروح منه في عملكم العلمي الارشادي الفذ ، ونفع بكم وحقق الآمال المعقودة عليكم .

وتفضلوا بقبول ازكى التحية والسلام.

عن الوزير
المفتش المركزي
إمضاء زروق موساوي

عن الوزير
المفتش المركزي،

رسالة من فضيل اسكندر إلى أحمد توفيق المدني[1]

[1] – متحف المجاهد الجهوي لولاية المدية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر بالعربية:

1.الإبراهيمي أحمد طالب، آثار البشير الابراهيمي، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت.

2.الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الشيخ الابراهيمي 1940- 1952، ط خ، دار الغرب الاسلامي، 1997

3.باعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الامامين، ط 2، منشورات الخبر، الجزائر، 2008.

4.بكوش –الهادي، شهادات من الاستعمار في تونس الجزائر المغرب، د ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013.

5.الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، تر: سامي الجندي، ط2، دار المعارف، تونس، 2013.

6.خوجةحمدان بن عثمان، المرأة، تع محمد العربي الزبيري، منشورات سلسلة التراث، الجزائر، 2006.

7.الذيب فتحي، عبد الناصر وثورة الجزائر، د ط، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1997.

8.الصديق محمد صالح، شخصيات فكرية وأدبية، د ط، دار الأمة، الجزائر، 2010.

9.العقون عبد الرحمان ابراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج 3، د ط، الؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

10. فضلاء محمد حسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 1، د ط، دار الهومة، الجزائر، 2000.

11. الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، ط خ، دار الهدى، الجزائر، د ت،

12. قنانش محمد، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، ط خ، دار القصبة، الجزائر، 2005.

13. كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي- من النضال السياسي إلى القائد العسكري 1946 – 1954-، ط خ، دار القصبة، الجزائر، 1999.

14. المدني أحمد توفيق، الجزائر، ط خ، دار الكتاب، الجزائر، 1963.

15. المدني أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، ط خ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1952.

16. المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري، ط 2، المطبعة العربية، 1952.

17. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج 1، مجلد 1، ط خ، الجزائر، 2010

18. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج 2، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

19. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج 3، ط خ، دار الكتاب، الجزائر، 1983.

20. المدني أحمد توفيق، رد أديب على حملة اكذيب، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

21. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.

22. المدني توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، 1766 – 1791، ط خ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

23. الميلي مبارك، تاريخ الجزائر في الحديث والقديم، ج 3، ط خ، النهضة العربية، الجزائر، 1947.

Les source en Français

François perret، L'action du comité nationale de la crois Rouge Pendant la guerre d'Algérie (1954 – 1962)، N 86، 2004 s p.

المقالات

1- أبو محمد، "في الشمال الافريقي"، م البصائر، العدد 145، الجزائر، 4 مارس 1951.

2- أبو محمد، "اقتلو الاستعمار أو يقتلكم الاستعمار"، البصائر، العدد 2، الجزائر.أوت 1947.

3- أبو محمد، "البؤس الاهلي"، مجلة الشهاب، م 11 ج 10، العدد 565، الجزائر، 1936.

4- /أبو محمد، "حول الماساة"، م البصائر، العدد 146، الجزائر، 12 مارس 1951.

5- أبو محمد، "في الشمال الافريقي"، م الشهاب، ج7، م 11، الجزائر، 5 اكتوبر 1935.

6- أبو محمد، "منبر السياسة العالمية"، م البصائر، العدد 76، الجزائر 18 افريل 1944.

7- أبو محمد، "منبر السياسة العالمية،" م البصائر، العدد 4، الجزائر، 22 اوت 1947.

8- أبو محمد، ا"لجهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها واعظم موقف تتخذه الجزائر المجاهدة في التارخ الحديث"، الجزائر، البصائر، العدد166 ، الجزائر،1951.

9- أبو محمد،" الإنتخابات الجزائرية الإرهاب والتدليس"، م البصائر، ع22 الجزائر، اوت 1947.

10- أبو محمد،" في الشمال الافريقي"، م البصائر، العدد 122، الجزائر، 5 جوان 1950.

11- أحمد توفيق المدني"، الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية"،م البصائر، العدد،182 الجزائر، 1953.

12- دون إمضاء،" في الشمال الإفريقي " م الشهاب، ج 9، م 13، الحزائر، 1937.

13- دون إمضاء، "في الشمال الافريقي"، م الشهاب، جزء 13، م 4، الجزائر، نوفمبر، 1947.

14- دون إمضاء، "في الشمال الافريقي، نظرة عامة،" م الشهاب،ج 13، م 11، الجزائر، 18 افريل 1944.

15- عبد الحميد بن باديس،" وحدة الشمال الافريقي"، م الشهاب، ج 5،، م 13، العدد 507، الجزائر 1937.

16- الفاضل بن عاشور محمد، على هامش قرطجنة أربعة عصور" الفتح الاسلام الأول لإفريقيا "، م الشهاب ع 121، 10 نوفمبر 1927.

17- المدني أحمد توفيق، "وضعية الطلبة الجزائريين في الخارج،" ج المجاهد، العدد 89 الجزائر، 1958.

المراجع:

1. . بن قينية عمر، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية، الحديثة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.

2. باغفيل قوي، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، د ط، جامعة موغيال، فرنسا، 2009 – 2010.

3. بزيان سعدي، دور الطبقة العالمية الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر 1954، د ط، دار الهومة، الجزائر، د ت.

4. بلقاسم محمد واخرون، القواعد الخلفية للثورة الجزائرية، الجبهة الشرقية،، سلسلة المشاريع الوطنية، ط خ، منشورات المركز الوطني لدراسات والبحث، الجزائر، 2007.

24. مراد علي، الحركة الوطنية الإصلاحية الاسلامية في الجزائر 1925 – 1949، تر: محمد بحياش، ط خ، دار الحكمة، الجزائر، 2001.

25. بن نعمان أحمد، فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات – الأهداف – الوسائل- البدائل، ط 2 دار الأمة، الجزائر، 1937.

26. شارل اندري، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تر:محمد مزالي وبشير سلامة، ن، ف، ر، د ب، دت.

27. بن قينة عمر، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ط 2، كولوريوم، الجزائر، 2010.

28. بوحوش عمار، الي التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997.

29. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931- 1954، ط خ، دار البعث، قسنطينة، 1981.

30. بوضرساية بوعزة، رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، ط خ، دار الحكمة، الجزائر، 2007

31. بوعزيز يحي، الاستعمار الاوروبي الحديث في افريقيا والجزر المحيطية، د ط، د م ح، الجزائر، 1986.

32. تركي رابح، نجم شمال افريقيا الشخصية الوطنية 1931 – 1956، د ط، الشركة الوطنية، الجزائر، دت.

33. الخرفي صالح، في رحاب المغرب العربي، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985.

34. حمدان جمال، استراتيجية الاستعمار والتحرير، ط 1، دار الشروق، مصر، 1983.

35. حمداني عمار، حقيقة غزو الجزائر، د ط، تر: لحسن رغدان، منشورات تالة، الجزائر، 2009.

36. خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 – 1956، ج 3، ط2،دار كدادة الجزائر، دت.

37. روبير شارل أجيرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا، 1871 – 1919، تع:الحاج مسعود وبكلي، ط خ، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

38. زبيري العربي، المثقفون الجزائريون والثورة، م م وم، الجزائر، 1995.

39. سعدالله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1930 - 1945، ج3، د ط، م، ب، د، ع، مصر، 1975.

40. سعدالله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، د ط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1995.

41. سهيل خالدي، جيل قاسما، تاثير الثورة الجزائرية في الفكر العربي المعاصر، ط 1، الؤسسة الوطنية، 2007.

42. صاري جيلالي، بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850 – 1950، تر:عمر المقراني، د ط، الجزائر 2007. منشورات(ANEP).

43. طلابي علي محمد، الثمار الزكية السنوسية في ليبيا، ج 1، ط 1، مكتبة النابعين، مصر، 2001.

44. العايب محمد، مؤتمر طنجة المغاربي، دراسة تحليلية نقدية، د، ط، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

45. عبد الله الطاهر، الحركة التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 – 1956، ط خ، دار المعارف، تونس، 2013.

46. العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار بالبلاد التونسية 1881 – 1939، رسالة دكتوراه، إشراف رشاد الإمام، جامعة تونس01، 1987 - 1988.

47. عطاء الله الجمل شوقي، المغرب العربي في العصر الحديث، ط 1، مكتبةأنجلو، مصر، 1988.

48. عميش إبراهيم فتحي، التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا، برنيق للطباعة، د ب، 2008.

49. القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر 1881 – 1956، تع حمادي الساحلي، ط 1، الشركة الوطنية التونسية، تونس 1986.

50. قنانش محمد وقداش محفوظ، نجم شمال إفريقيا 1926 – 1937، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الجزائر، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.

51. لونيسي رابح، دراسات حول ايديولوجيات والتاريخ، ط 1، كوكب العلوم، الجزائر، 2012.

52. مالكي امحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، م د وع، لبنان، 1993.

53. مقلاتي عبد الله ولميش صالح، تونس والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج 2، ط خ، دار الزيبان، الجزائر، د ت.

54. مقلاتي عبد الله، المرجع في تاريخ الثورة الجزائرية ونصوصها الأساسية، 1954–1962، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2012.

55. مقلاتي عبد الله، العلاقات الجزائرية المغاربية ج 1، ط خ، دار بوسعادة، الجزائر، د ت.

56. مناصرية يوسف، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، ط خ، دار الهومة، الجزائر، 2013.

57. مياد رشيد، إسهامات جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين في الحركة الوطنية، د ط، دار الجزائر، 2013.

58. بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة التاريخية خلال الفترة 1830 – 1962، ط خ، الجزائر، 2012.

59. بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830 – 1930 وإنعكاساتها على المغرب العربي، د ط، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

يحيي جلال، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، د ب، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1999 بلقاسم محمد، وحدة المغرب فكرة وواقعا، واقع فكرة الوحدة 1954 – 1974، طبعة 1، البصائر الجديدة، الجزائر 2013.

Les article en français:

Saadedine BEN CHNEB، quelque historiens arabe moderne de l’Algérie، Revue Africaine، V 100، S E، Alger 1956.

الرسائل والمذكرات:

1.بوصفصاف عبد لكريم، جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الوطنية والأحزاب الأخرى 1931 – 1945، رسالة ماجستير، في ت ج ع، اشراف توفيق بورد.

2.التلمساني بن يوسف، التوسع الفرنسي في الجزائر 1830 – 1870، أطروحة دكتوراه، اشراف يوسف مناصرية، جامعة الجزائر، 2004 – 2005 (غير منشورة).

3.خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف عبد لكريم بوصفصاف، جامعة منصوري، قسنطينة، 2006 –2007(منشورة).

4.العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار بالبلاد التونسية 1881 – 1939، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف رشاد الامام، جامعة تونس 01، 1987 – 1988(غير منشورة).

5.ميسوم بلقاسم، الكتابات التاريخية خلال الفترة الاستعمارية، 1830 – 1962، دراسة تحليلية، شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف يوسف تلمساني، جامعة الجزائر، 102، 2011.

6.هدى بنت محمد عبده أحمد عثمان، التنافس الاستعماري بين بريطانيا وإيطاليا في منطقتي شرق افريقيا 1935 – 1945، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف يوسف بن علي بن رابح الثقفي، جامعة ام القرى، 2004 – 2005 (غير منشورة).

الجرائد والمجلات:

1. بلقاسم محمد، وحدة المغرب العربي من خلال المؤتمر 11 لجمعية الطلبة المسلمين، أفارقة تونس 1950، م المصادر، العدد 11، سبتمبر 2005، الجزائر.

2. بوشقيف حياة، مرجعيات العمل الوحدوي المغاربي المشترك من فترة الحرب العالمية الثانية إلى غاية انعقاد مؤتمر الوحدة 1945 – 1958، م المجاهد، ع 180، نوفمبر 1937.

3. حميدي أحمد، مرجعيات الخطاب الوطني الجزائري، م المصادر، ع 4، الجزائر، 2000.

4. دون كاتب، الاعترافات الدولية الأولى للحكومة المؤقتة الجمهورية الجزائرية، م الذاكرة، 3ع، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.

5. غانم محمد، البرديغما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي، أحمد توفيق المدني نموذجا، م العصور الجديدة ،ع3، 9، ع خاص وهران، 201، 2012.

6. محمد بن ساعو، محمد البشير الإبراهيمي والثورة التحريرية " م حروف لدراسات التاريخية، ع 1، الجزائر، اوت 2004 .

7. ميسوم بلقاسم، كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني، دراسة تحليلية نقدية، م المصادر، ع 1، الجزائر، 2007.

الملتقيات

60. بكوش الهادي، الاستعمار والمقاومة بين الامس واليوم، اعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، ط خ، الجزائر 2007 .

61. ولد خليفة العربي محمد، من مركب الذنب إلى تبيين الجريمة، أعمال الملتقى الوطني حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، ط خ، الجزائر، 2007.

المعاجم والموسوعات:

62. أبو عمران الشيخ واخرون، معجم مشاهير المغاربة، ط 2، مؤسسة صونيام، الجزائر، 2013.

63. بلقاسمي بوعلام، واخرون، موسوعة اعلام الجزائر 1954، ط خ، م م ول ب ج وث، الجزائر، 2007

المواقع الإلكترونية:

عمر بن قينة،" أحمد توفيق المدني المفكر والكاتب المنسي"، الموقع WWW. awu – dam. org تـ اريـ خ الدخول 22 افريل 2016، الثانية ظهرا.

فهرس المحتويات

الفهرس

العنوان **الصفحة**

مقدمة..... أ-و

المبحث الأول: أحمد توفيق المدني حياته وعصره

1- المولد والنشأة..... 09

أ- المولد..... 09

ب- تعليمه..... 10

2- سيرته الشخصية..... 12

أ- في تونس..... 12

● نشاطه الفكري..... 12

- النشاط الصحفي..... 12

- الرابطة القلمية..... 16

- الفن والأدب والمسرح..... 17

- المجمع العلمي التونسي..... 17

- لجنة الخلافة..... 19

● نشاطه السياسي..... 20

- نشاطه في الحزب الدستوي الحر 1920..... 22

- الحركة العمالية التونسية..... 24

ب- في الجزائر..... 26

- نشاطه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين..... 27

- بعد أحداث ماي 1947..... 28

- نشاطه في الثورة..... 30

3- عصره..... 31

أ- تأسيسه للمنهاج..... 31

ب- معاصريه من العلماء..... 32

● من تونس..... 32

- حسن قلاتي..... 32
- عبد العزيز الثعالبي..... 33
● في الجزائر..... 35
- البشير الابراهيمي..... 35
- مبارك الميلي..... 36
ج- مؤلفاته..... 38
- الكتب..... 38
- المقالات الصحفية..... 39
- دراسة نموذجية في بعض مؤلفاته..... 40
د- وفاته..... 46
خلاصة..... 48

المبحث الثاني: قضية الإستعمار في المغرب العربي

تمهيد..... 50
1- نظرة أحمد توفيق المدني للإستعمار..... 56
2- موقف المدني من الإستعمار..... 60
أ-الجزائر..... 60
ب- تونس..... 62
ج- المغرب الأقصى..... 65
د- ليبيا..... 67
خلاصة..... 69

المبحث الثالث: قضية الوحدة المغاربية وقضايا الإصلاح

تمهيد..... 71
1- مرجعيات العمل الوحدوي للمغرب العربي..... 75
2- الوحدة المغاربية في منظور أحمد توفيق المدني..... 80
أ-من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين..... 80
ب- من خلال نجم شمال إفريقيا..... 84
ج- من خلال المقالات الصحفية..... 87

- الشهاب..... 87
- البصائر..... 89
3- القضايا الإصلاحية..... 92
- قضية التجنيس والاحتفالات المئوية..... 92
- قضية الطرفية..... 94
- قضية الظهير البربري..... 96
خلاصة..... 99

المبحث الرابع: قضية الثورة الجزائرية 1954 وصداها المغاربي

1- موقف المدني من الثورة التحريرية 1954..... 102
2- نشاط المدني في الثورة..... 105
أ- في الوفد الخارجي..... 105
ب- في السلك الدبلوماسي..... 110
ج- في الحكومة المؤقتة..... 111
3- صدى الثورة المغاربي..... 114
خاتمة..... 119
الملاحق..... 123
بيبليوغرافيا..... 129